العقيدة في ضوء الكتاب والسنة
(٢)

عالم الملائكة الأبرار

تأليف

الدكتور عمر سليمان الأشقر



مكتبة الفلاح

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الرابعة
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

مكتبة الفلاح - الكويت
ص.ب ٤٨٤٨ - الكويت - شارع بيروت - عمارة الحساوي
مقابل بريد حولي - تلفون ٥٤٧٧٨٤

عالم الملائكة الأبرار


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد : فالإيمان بالملائكة أصل من أصول الاعتقاد ، لا يتم الإيمان إلا به ، والملائكة عالم من عوالم الغيب التي امتدح الله المؤمنين بها ، تصديقاً لخبر الله سبحانه وإخبار رسوله ﷺ .

وقد بَسَطت النصوص من الكتاب والسنة هذا الموضوع وبينت جوانبه ، ومن يطالع هذه النصوص في هذا الجانب يصبح الإيمان بالملائكة عنده واضحاً ، وليس فكرةً غامضة ، وهذا مما يعمق الإيمان ويرسخه ، فإن المعرفة التفصيلية أقوى وأثبت من المعرفة الإجمالية .

وما أطالت النصوص التفصيل والتوضيح في هذا الموضوع إلا لأنَّ العقل الإنساني لا يستطيع التوصل إلى ما يهمه معرفته عن الملائكة بنفسه ، فحواس الإنسان أعجز من أن ترى الملائكة ، وتسمع أحاديثهم ، ولا شك أنَّ هذا العجز في صالح الإنسان ، فلو كان الإنسان يسمع ويرى كل ما يحيط به لما أطاق الحياة ، وحسبنا أن نتصور أنَّ إنساناً تلتقط أذنه ما يلتقطه المذياع من أصوات لنعلم البلاء الذي يحلّ بهذا المسكين الذي لا بدَّ أن يصاب بالذهول والجنون . ولا يظنن أحدٌ أن دراسة هذا الأصل من فضول العلم ، فإن الحقائق التي تسوقها النصوص في هذا الموضوع لها

تأثير كبير في نفي الخرافة والزيف عن العقول في هذا الموضوع فقد انتشر منذ القديم القول بألوهية الملائكة ، أو أنَّ الملائكة بنات الله ، ويرى بعض الفلاسفة أنَّ الملائكة هم الأفلاك التي نراها في الفضاء .

وهذه الحقائق التي جاءت بها النصوص تعمق في نفوسنا الإيمان بالإله المعبود المهيمن على هذا الوجود ، الذي وضع جنوده من الملائكة للقيام على مختلف أمور الكون .

وعلاقة الملائكة بنا تكويناً وإيجاداً ومراقبة ... توحي للإنسان بأهميته وقيمته ، وتنفي من فكره القول بتفاهته وحقارته ، وبذلك يقدر قدر نفسه ويسعى جاهداً لتحقيق الدور العظيم الذي عليه أن يقوم به .

ولو ذهبنا نعدد الآثار الطيبة التي يجنيها المرء من إيمانه بالملائكة ، ودراسة النصوص التي تتحدث عنهم ، لطال القول في هذه المقدمة ، إلا أنني أترك للقارئ أن يعيش مع النصوص ، فتمده ـ حين يتأمل فيها ـ بموحياتها وآثارها .

والله تعالى المسئول أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

عمر سليمان الأشقر

الكويت

٢٠/ ذي القعدة /١٣٧٨ هـ

١٩٧٨/٩/٢٢ م

الفصل الأول

١ - صفات الملائكة وقدراتهم



صفاتهم وقدراتهم

سنحاول في هذا الفصل أن نتبين من خلال النصوص الصحيحة صفات الملائكة الخَلْقية والخُلُقية ، ثم نتحدث عن القدرات التي وهبهم الله إياها .

الصفات الخَلْقية وما يتعلق بها

مادة الخلق :

عرفنا الرسول ﷺ في الحديث الذي ترويه عائشة بنت أبي بكر ـ رضي الله عنها وعن أبيها ـ أن المادة التي خلقوا منها هي النور ، فقال ﷺ : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم)[1] (رواه مسلم في صحيحه) .

ولم يبين لنا الرسول ـ ﷺ ـ أي نور هذا الذي خلقوا منه ، ولذلك فإننا لا نستطيع أن نخوض في هذا الأمر لمزيد من التحديد ، لأنه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث .

وما روي عن عكرمة أنه قال : (خلقت الملائكة من نور العزة ، وخلق إبليس من نار العزة) .

وما روي عن عبدالله بن عمرو أنه قال : (خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر) لا يجوز الأخذ به ، وعلى فرض صحته عن هؤلاء العلماء الأفاضل فهم غير معصومين ، ولعلهم قد استقوه من الإسرائيليات .

---

(١) بعض الذين ينسبون إلى العلم يردون هذا الحديث وأمثاله زاعمين أنه حديث آحاد ، وأنّ حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة ، وقد ناقشت هذا القول وبينت بطلانه في رسالة بعنوان (أصل الاعتقاد) .

(راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٩٧/١) .

واما ما ذكره ولي الله الدهلي في الحجة البالغة (ص ٣٣) من (أنَّ الملأ الأعلى) ثلاثة أقسام : قسم علم الحق أن نظام الخير يتوقف عليهم ، فخلق أجساماً نورية بمنزلة نار موسى فنفخ فيها نفوساً كريمة .

وقسم اتفق حدوث مزاج في البخارات اللطيفة من العناصر استوجب فيضان نفوس شاهقة شديدة الرفض (أي الترك) للألوات البهيمية .

وقسم هم نفوس إنسانية قريبة المأخذ من الملأ الأعلى ما زالت تعمل أعمالاً منجية تفيد اللحوق بهم حتى طرحت عنها جلابيب أبدانها ، فانسلكت في سلكهم وعدّت منهم)

- فلا يوجد دليل صحيح على صحة هذا التقسيم - بهذا التفصيل والتحديد .

متى خلقوا ؟

لا ندري متى خلقوا فالله - سبحانه - لم يخبرنا بذلك . ولكننا نعلم أنَّ خلقهم سابق على خلق آدم أبي البشر ، فقد أخبرنا الله أنَّه أعلم ملائكته أنه سيجعل في الأرض خليفة (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (سورة البقرة / ٣٠) والمراد بالخليفة آدم عليه السلام ، وأمرهم بالسجود له حين خلقه (فإذا سوَّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (سورة الحجر / ٢٩) .

عظم خلقهم :

قال الله تعالى في ملائكة النَّار :(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)،(سورة التحريم / ٦) .

وسأكتفي بسوق الأحاديث التي تتحدث عن ملكين كريمين فحسب .

عظم خلق جبريل :

روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود قال : رأى رسول - ﷺ - جبريل في صورته وله ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سدّ الأفق . يسقط من جناحه التهاويل (الأشياء المختلفة الألوان) من الدر واليـواقيـت .

قال ابن كثير في هذا الحديث : اسناده جيد (البداية ٤٧/١) .

وفي سنن الترمذي باسناد صحيح أن الرسول - ﷺ - قـال في جبريل : (رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض) .

وقال في وصفه (إنه لقول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثَـمَّ أمين) ، (سورة التكوير ١٩ - ٢١) والمراد بالرسول الكريم هنا جبريل ، وذي العرش : رب العزة سبحانه .

عظم خلقة حَـمَلة العرش :

روى أبو داود عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - قال : (أذن لي أن أحدِّث عن أحد حملة العرش ما بين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام) .

ورواه ابن أبي حاتم وقال: (تخفق الطير ،) قال محقق مشكاة المصابيح : إسناده صحيح (١٢١/٣) ، وانظر تخريج الشيخ ناصر له في الأحاديث الصحيحة (٧٢/١) .

وروى الطبراني في معجمه الأوسط بإسناد صحيح عن أنس قال : قال رسول الله - ﷺ -: (أذن لي أن أحدث عن أحد حملة العرش ، رجلاه في الأرض السفلى ، وعلى قرنه العرش ، وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام ، يقول (أي الملك) : سبحانك حيث كنت) .

للملائكة أجنحة :

للملائكة أجنحة كما أخبرنا الله تعالى ، فمنهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، أو أربعة ، ومنهم من له أكثر من ذلك : (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير)،(سورة فاطر /١) والمعنى أن الله جعلهم أصحاب أجنحة ، بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة وأربعة وأكثر من ذلك .

وقد سبق ذكر الأحاديث التي يخبر فيها الرسول - ﷺ - أن لجبريل ستمائة جناح .

جمالهم :

خلقهم الله على صور جميلة كريمة كما قال تعالى في جبريل : (علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى) ، (سورة النجم ٥/٦) قال ابن عباس : (ذو مرة) ذو منظر حسن ، وقال قتادة : ذو خلق طويل حسن . وقيل . ذو مرة : ذو قوة ولا منافاة بين القولين فهو قوي وحسن المنظر .

وقد تقرر عند الناس وصف الملائكة بالجمال ، كما تقرر عندهم وصف الشياطين بالقبح ، ولذلك تراهم يشبهون الجميل من البشر بالملك ، انظر إلى ما قالته النسوة في حقِّ يوسف الصديق عندما رأينه : (فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملكٌ كريمٌ) ، (سورة يوسف/٣١) .

هل بين الملائكة والبشر شبه في الشكل والصورة ؟

روى مسلم في صحيحه والترمذي في سننه عن جابر رضي الله عنه قال : (عرض عليَّ الأنبياء ، فإذا موسى ضرب من الرجال ، كأنَّه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى ابن مريم ، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود ، ورأيت إبراهيم فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبُكم ، (يعني نفسه) .

ورأيت جبريل ، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً (دحية) فهل هذا الشبه كائن بين صورة جبريل الحقيقية وصورة دحية الكلبي ، أم هو بين الصورة التي يكون بها جبريل عندما يتمثل في صورة بشر ؟ ! الأرجح هذا الأخير لما سيأتي أن جبريل كان يتمثل في صورة دحية كثيراً .

تفاوتهم في الخلق والمقدار :

الملائكة ليسوا على درجة واحدة في الخلق والمقدار ، فبعض الملائكة له جناحان وبعضهم له ثلاثة وجبريل له ستمائة جناح ، ولهم عند ربهم مقامات متفاوتة معلومة (وما منّا إلا له مقام معلوم)،(سورة الصافات /١٦٤) .

وقال في جبريل (إنه لقول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين) ، (سورة التكوير ١٩ ـ ٢١) .

أي له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله .

وأفضل الملائكة هم الذين شهدوا معركة بدر ، ففي صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع : أن جبريل جاء للنبي ـ ﷺ ـ فقال : ما تعدُّون من شهد بدراً فيكم ؟ قلت : خيارنا ، قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة هم عندنا خيار الملائكة) .

لا يوصفون بالذكورة والأنوثة :

من أسباب ضلال بني آدم في حديثهم عن عوالم الغيب أن بعضهم يحاول إخضاع هذه العوالم لمقاييسه البشرية الدنيوية ، فنرى واحداً من هؤلاء يعجب في مقال له في صحيفة سيارة ، من أن جبريل كان يأتي الرسول ـ ﷺ ـ بعد ثوان من توجيه سؤال إلى الرسول ـ ﷺ ـ يحتاج إلى جواب من الله ، فكيف يأتي بهذه السرعة الخارقة ، والضوء يحتاج إلى ملايين السنوات الضوئية ليصل إلى بعض نجوم السماء .

وما دري هذا المسكين أن مثله كمثل بعوضة تحاول أن تقيس سرعة الطائرة بمقياسها الخاص ، لو تفكر في الأمر لعلم أن عالم الملائكة له مقاييس تختلف تماماً عن مقاييسنا نحن البشر .

ولقد ضل في هذا المجال مشركو العرب الذين كانوا يزعمون أن الملائكة إناثاً ، واختلطت هذه المقولة المجافية للحقيقة عندهم بخرافة أعظم وأكبر إذ زعموا أن هؤلاء الإناث بنات الله .

وناقشهم القرآن في هاتين القضيتين ، فبيّن أنّهم ـ فيما ذهبوا إليه ـ لم يعتمدوا على دليل صحيح ، وأن هذا القول قول متهافت ، ومن عجب أنهم ينسبون لله البنات وهم يكرهون البنات ، وعندما يبشر أحدهم بأنّه رزق بنتاً يظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، وقد يتوارى من الناس خجلاً من سوء ما بُشر به ، وقد يتعدى هذا المأفون طوره فيدس هذه المولودة في التراب ، ومع ذلك كله ينسبون لله الولد ، ويزعمون أنهم إناث وهكذا تنشأ الخرافة وتتفرع في عقون الذين لا يتصلون بالنور الإلهي . استمع إلى الآيات التالية تحكي هذه الخرافة وتناقش أصحابها : (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ، أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ، ألا إنهم من إفكهم ليقولون ، ولد الله وإنهم لكاذبون ، اصطفى البنات على البنين ، ما لكم كيف تحكمون ، أفلا تذكرون ، أم لكم سلطان مبين)،(سورة الصافات /١٤٩ ـ ١٥٦) .

وقد جعل الله قولهم هذا شهادة سيحاسبهم عليها ، فإن من أعظم الذنوب القول على الله بغير علم : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، أشهدوا خلقهم ؟ ستكتب شهادتهم ويُسألون) [1] (سورة الزخرف /١٩) .

---

(١) ومن هنا يجب أن يحذر المسلم في أن يتقول في مثل هذه الأمور بلا علم ، فهؤلاء الذين يزعمون أن أصل الإنسان حيوان : قرد ، أو غيره ، يقال لهم نفس القول : (أشهدوا خلقهم ؟ ستكتب شهادتهم ويسألون) والله يقول : (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) .

لا يأكلون ولا يشربون :

أشرنا من قبل أنهم لا يوصفون بالذكورة والأنوثة ، وكذلك هم لا يحتاجون إلى طعام البشر وشرابهم ، فقد أخبرنا الله أن الملائكة جاؤوا إبراهيم في صورة بشر فقدَّم لهم الطعام فلم تمتد أيديهم إليه فأوجس منهم خيفـة ، فكشفوا له عن حقيقتهم فزال خوفه واستغرابه : (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون فراغ (مال) إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون ، فأوجس منهم خيفة ، قالوا : لا تخف وبشروه بغلام عليم) ، (سورة الذاريات/٢٤ ـ ٢٨).

وفي آية أخرى قال : (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا : لا تخف إنا أُرسلنا إلى قوم لوط) ، (سورة هود /٧٠) .

لا يملّون ولا يتعبون :

والملائكة يقومون بعبادة الله وطاعته وتنفيذ أوامره ، بلا كلل ولا ملل ، ولا يدركهم ما يدرك البشر من ذلك ، قال تعالى في وصف ملائكته : (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) ، (سورة الأنبياء /٢٠) .

ومعنى لا يفترون : لا يضعفون . وفي الآية الأخرى (فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) (سورة فصلت /٣٨) تقول العرب :سئم الشيء : أي ملَّه .

منازلهم :

منازل الملائكة ومساكنها لسماء ، كما قال تعالى : (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم) (سورة الشورى /٥) .

وقد وصفهم الله تعالى بأنهم عنده : (فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) ، (سورة فصلت / ٣٨) .

وينزلون إلى الأرض بأمر الله لتنفيذ مهمات نيطت بهم ، ووكلت إليهم (وما نتنزل إلا بأمر ربك)،(سورة مريم /٦٤) .

ويكثر نزولهم في مناسبات خاصة كليلة القدر (ليلة القدر خير من ألف شهر تنزَّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) ، (سورة القدر /٣ ـ ٤).

عددهم :

الملائكة خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم (وما يعلم جنود ربك إلا هو)،(سورة المدثر /٣١) .

وإذا أردت أن تعلم كثرتهم فاسمع ما قاله ـ ﷺ ـ في البيت المعمور الذي في السماء السابعة : (فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه آخر ما عليهم) رواه البخاري ومسلم .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (يؤتى بجهنَّم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك) فعلى ذلك فإن الذين يأتون بجهنـم يوم القيامة أربعة آلاف وتسعمائة مليون ملك .

وإذا تأملت النصوص الواردة في الملائكة التي تقوم على الإنسان ـ علمت مدى كثرتهم ـ ، فهناك ملك موكل بالنطفة ، وملكان لكتابة أعمال كل إنسان ، وملائكة لحفظه ، وقرين ملكي لهدايته وإرشاده ... (كما سيأتي قريباً) .

أسماؤهم :

للملائكة أسماء ، ونحن لا نعرف من أسماء الملائكة إلا القليل وإليك الآيات التي ورد فيها أسماء بعض الملائكة .

١ ، ٢ ـ جبريل وميكائيل :

قال تعالى : (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله

مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ، من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكـال فإنَّ الله عدو للكافرين) ،(سورة البقرة /٩٧ ـ ٩٨) .

وجبريل هو الروح الأمين المذكور في قوله تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) ،(سورة الشعراء /١٩٣ ـ ١٩٤) .

وهو الروح المعني في قوله تعالى : (تنزَّل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم) (سورة القدر / ٤) .

وهو الروح الذي أرسله إلى مريم : (فأرسلنا إليها روحنا)،(سورة مريم / ١٧) .

٣ ـ اسرافيل :

ومن الملائكة إسرافيل الذي ينفخ في الصور ، وجبريل وميكائيل وإسرافيل هم الذين كان يذكرهم الرسول ـ ﷺ ـ في دعائه كلما استيقظ من الليل : (اللهمَّ ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنَّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) .

٤ ـ مالك :

ومنهم مالك خازن النار (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) ،(سورة الزخرف /٧٧)

٥ ـ رضوان :

قال ابن كثير :(وخازن الجنَّة ملك يقال له رضوان ، جاء مصرحاً به في بعض الأحاديث) (البداية : ٥٣/١) .

٦ ، ٧ ـ منكر ونكير :

ومن الملائكة الذين سماهم الرسول ـ ﷺ ـ : منكر ونكير ، وقد

استفاض في الأحاديث ذكرهما في سؤال القبر .

٨ ، ٩ ـ هاروت وماروت :

ومنهم ملكان سماهما الله باسم (هاروت وماروت) قال تعالى : (وما كفر سليمان ولكنَّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ...) ، (سورة البقرة /١٠٢) .

ويبدو من سياق الآية أن الله بعثهما فتنة للناس في فترة من الفترات ، وقد نُسجت حولهما في كتب التفسير أساطير كثيرة ، لم يثبت شيء منها في الكتاب والسنة ، فيكتفي في معرفة أمرهما . بما دلت عليه الآية الكريمة .

عزرائيل :

وقد جاء في بعض الآثار تسمية ملك الموت باسم عزرائيل ولا يوجد في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة تسميته بهذا الاسم (البداية ١/٥٠) .

رقيب وعتيد :

يذكر بعض العلماء أن من الملائكة من اسمه رقيب وعتيد ، استدلالاً بقوله تعالى : (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)،(سورة ق / ١٧ ـ ١٨) .

وما ذكروه غير صحيح ، فالرقيب والعتيد هنا وصف للملكين اللذين يسجلان أعمال العباد ، ومعنى رقيب وعتيد أي ملكان حاضران شاهدان لا يغيبان عن العبد . وليس المراد أنهما اسمان للملكين .

هل تموت الملائكة ؟

الملائكة يموتون كما يموت الإنس والجن ، وقد جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى : (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا

من شاء الله ثمَّ نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) ، (سورة الزمر /٦٨) .

فالملائكة تشملهم الآية لأنهم في السماء يقول ابن كثير عند تفسير هذه الآية : (هذه هي النفخة الثانية ، وهي نفخة الصعق ، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور ، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت ، وينفرد الحيُّ القيوم الذي كان أولاً وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء ، ويقول : لمن الملك اليوم ؟ ثلاث مرات . ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول :(لله الواحد القهار) .

ومما يدلُّ على أنهم يموتون قوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) (سورة القصص / ٨٨) .

وهل يموت أحد منهم قبل نفخة الصور ؟ هذا ما لا نعلمه ولا نستطيع الخوض فيه لعدم وجود النصوص المثبتة له أو النافية .

الصفات الخُلُقية

الملائكة كرام بررة :

وصف الله الملائكة بأنهم كرام بررة (بأيدي سَفَرَة كرام بررة) ، (سورة عبس : ١٥ ـ ١٦) ، أي القرآن بأيدي سفرة : أي الملائكة لأنَّهم سفراء الله إلى رسله وأنبيائه ، قال البخاري : (سفرة : الملائكة ، سفرت أصلحت بينهم)، وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله ـ تعالى ـ وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم ، وقد وصف الله تعالى هؤلاء الملائكة بأنَّهم (كرام بررة) أي خَلْقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة ، ومن هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد ، روى الإمام أحمد عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول

الله ـ ﷺ ـ : (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأه وهو عليه شاق ، له أجران) ، (وقد أخرجه الجماعة) .

استحياء الملائكة :

من أخلاق الملائكة التي أخبرنا الرسول ـ ﷺ ـ بها : الحياء ففي الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه عن عائشة أن الرسول ـ ﷺ ـ كان مضطجعاً في بيتها كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال ، فتحدث ، ثمَّ استأذن عمر فأذن له وهو كذلك ، فتحدث ، ثمَّ استأذن عثمان فجلس الرسول ـ ﷺ ـ وسوَّى عليه ثيابه ، فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة : دخل أبو بكر فلم تهتش له ، ولم تُبَالِه ، ثمَّ دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ، ثمَّ دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك ، فقال : (**ألا استحيي من رجل تستحيي منه الملائكة**) .

قُدراتهم

قدرتهم على التشكل :

أعطى الله الملائكة القدرة على أن يتشكلوا بغير أشكالهم ، فقد أرسل الله جبريل إلى مريم في صورة بشر : (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانها شرقياً ، فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويّاً ، قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ، قال :إنَّما أنا رسول ربِّك لأهب لك غلاماً زكيّاً) ، (سورة مريم / ١٦ ـ ١٩) .

وإبراهيم ـ عليه السلام ـ جاءته الملائكة في صورة بشر ولم يعرف أنهم ملائكة حتى كشفوا له عن حقيقة أمرهم ، وقد ذكرنا الآيات التي تتحدث عن ذلك فيما سبق .

وجاءوا إلى لوط في صورة شباب حسان الوجوه ، وضاق لوط بهم

وخشي عليهم من قومه ، فقد كانوا قوم سوء يفعلون السيئات ويأتون الذكران من العالمين (ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم ، وضاق بهم ذرعاً ، وقال هذا يوم عصيب) ، (سورة هود/٧٧) .

يقول ابن كثير : (تبدى لهم الملائكة في صورة شباب حسان امتحاناً واختباراً حتى قامت على قوم لوط الحجة ، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر) (البداية والنهاية ١/٤٣) .

وقد كان جبريل يأتي الرسول ـ ﷺ ـ في صفات متعددة ، فتارة يأتي في صورة دحية بن خليفة الكلبي (صحابي كان جميل الصورة) وتارة في صورة أعرابي .

وقد شاهده كثير من الصحابة عندما كان يأتي كذلك .

ففي الصحيحين عن عمر بن الخطاب قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منّا أحد ، فجلس إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ، وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، وفي الحديث أنه سأله عن الإيمان والإحسان والساعة وأماراتها .

وقد أخبر الرسول ـ ﷺ ـ فيما بعد أن السائل جبريل جاء يعلم الصحابة دينهم .

ورأت عائشة الرسول ـ ﷺ ـ واضعاً يده على معرفة فرس دحية الكلبي يكلمه فلما سألته عن ذلك ، قال ـ ﷺ ـ ذاك جبريل وهو يقرئك السلام . أخرجه أحمد في مسنده وابن سعد في الطبقات بإسناد حسن .

وقد حدثنا الرسول ـ ﷺ ـ عن الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، وأنه لما هاجر تائباً جاءه الموت في منتصف الطريق إلى الأرض التي هاجر إليها ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فحكّموا فيه ملكاً

جاءهم في صورة آدمي ، يقول عليه السلام : (فجاءهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم ، فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له) ولا بدَّ أنهم حكموه بأمر الله ، فأرسل الله لهم هذا الملك في صورة آدمي . والقصة في صحيح مسلم في باب التوبة .

وسيأتي في قصة الثلاثة الذين ابتلاهم الله من بني اسرائيل الأبرص والأقرع والأعمى ـ وأن الملك تشكل بصورة كل من الأقرع والأبرص والأعمى .

عظم سرعتهم :

أعظم سرعة يعرفها البشر هي سرعة الضوء ، فهو ينطلق بسرعة (١٨٦) ألف ميل في الثانية الواحدة .

أمّا سرعة الملائكة فهي فوق ذلك ، وهي سرعة لا تقاس بمقاييس البشر ، كان السائل يأتي إلى الرسول ـ ﷺ ـ فلا يكاد يفرغ من سؤاله حتى يأتيه جبريل بالجواب من ربِّ العزة سبحانه وتعالى ، واليوم لو وُجدت المراكب التي تسير بسرعة الضوء فإنها تحتاج إلى (مليار) سنة ضوئية حتى تبلغ بعض الكواكب الموجودة في آفاق هذا الكون الواسع الشاسع .

علمهم :

والملائكة عندهم علم وفير علّمهم الله إيَّاه ، ولكن ليس عندهم القدرة التي أعطيت للإنسان في التعرف على الأشياء (وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمَّ عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) ، (سورةالبقرة/٣١ـ٣٢)

فالإنسان يتميز بالقدرة على التعرف على الأشياء واكتشاف سنن الكون ، والملائكة يعلمون ذلك بالتلقي المباشر عن الله سبحانه وتعالى .

ولكنَّ الذي علمهم الله إياه أكثر مما يعرفه الإنسان ومن العلم الذي

أعطوه علم الكتابة ، (وإنَّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون) (سورة الانفطار/١٠ ـ ١٢) .

وسيأتي إيضاح هذا في مبحث (الملائكة والإنسان) .

اختصام الملأ الأعلى :

والملائكة تتحاور فيما بينها فيما خفي عليها من وحي ربها ، ففي سنن الترمذي ومسند أحمد عن ابن عباس أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة ، فقال : يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا ، فوضع يده بين كتفيّ ، حتى وجدت بردها بين ثدييّ ، فعلمت ما في السموات ، وما في الأرض ، فقال : يا محمد ! هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم ، في الكفارات والدرجات ، والكفارات : المكث في المساجد بعد الصلوات ، والمشي على الأقدام إلى الجماعات ، واسباغ الوضوء في المكاره .

قال : صدقت يا محمد ! ومن فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه .

وقال : يا محمد إذا صليت فقل : اللهمَّ إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبَّ المساكين ، وأن تغفر لي ، وترحمني ، وتتوب عليَّ وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون .

والدرجات : إفشاء السلام ، واطعام الطعام ، والصلاة بالليل والناس نيام) . (انظر صحيح الجامع ٧٢/١) .

قال ابن كثير في هذا الحديث : (هذا حديث المنام المشهور ، ومن جعله يقظة فقد غلط ، وهو في السنن من طرق ، وهذا الحديث رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله اليمامي به .

وقال الحسن : صحيح وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن في قوله :(ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ،إنْ يوحى إلي إلا أنّما أنا نذير مبين) ،(سورة ص /٦٩ ـ ٧٠) .

فإن الاختصام المذكور في الحديث ، قد فسره الرسول ﷺ .

والاختصام المذكور في القرآن فسرته الآيات بعده (إذ قال ربك للملائكة : إني خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين . .) الآيات .

فالاختصام المذكور في القرآن كان في شأن آدم ـ عليه السلام ـ وامتناع ابليس من السجود له ومحاجته ربّه في تفضيله عليه . (راجع تفسير ابن كثير ٦/٧٣ ـ ٧٤) .

منظمون في كل شؤونهم :

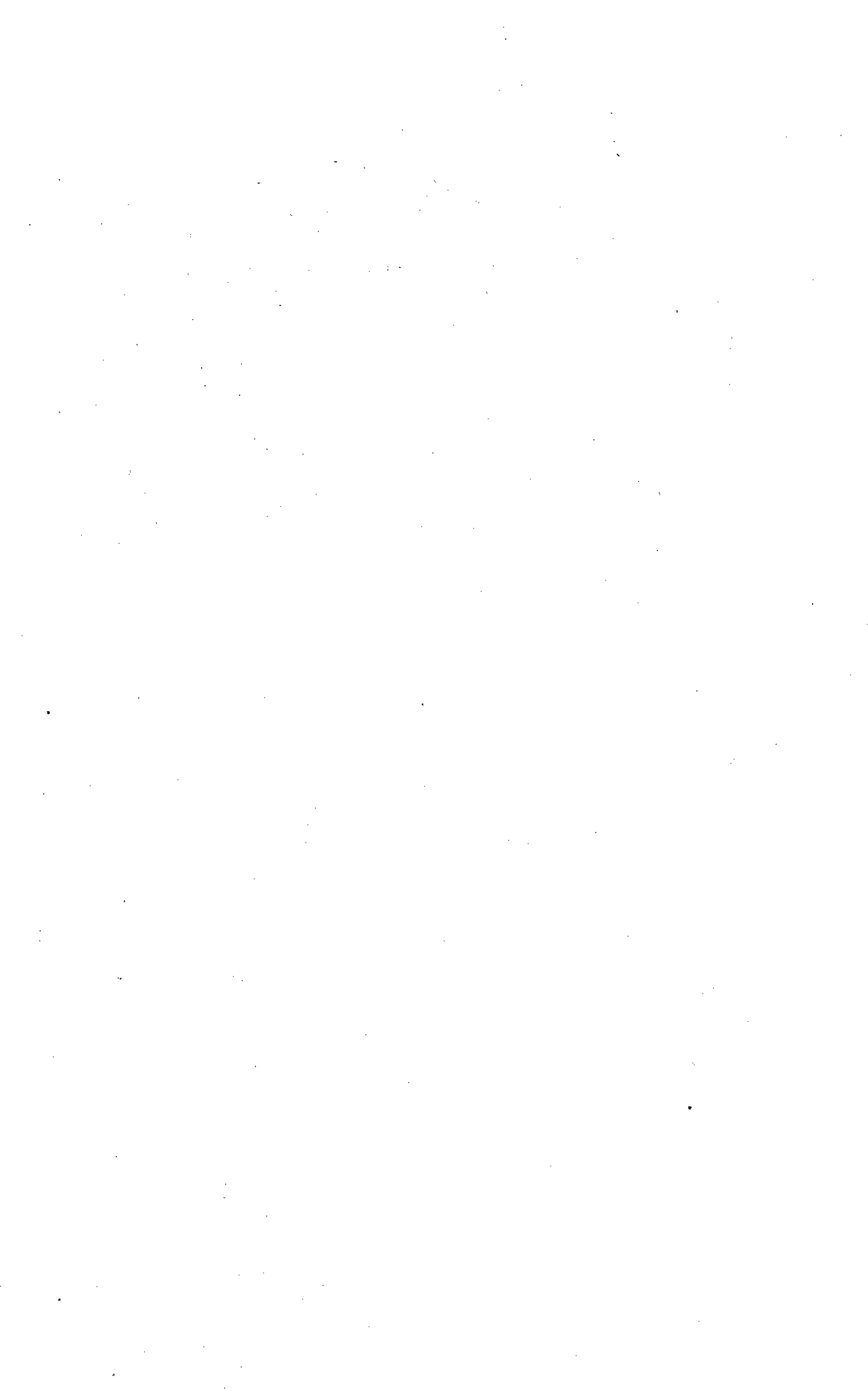
الملائكة منظمون في عبادتهم ، وقد حثنا الرسول ـ ﷺ ـ على الاقتداء بهم في ذلك فقال : (ألا تصفُّون كما تصفُّ الملائكة عند ربها) ؟ قالوا : وكيف يصفون عند ربهم ؟ قال : (يكملون الصف الأول فالأول يتراصون في الصف)،(رواه الجماعة إلا البخاري) ، وقد فضلنا الله على بقية الأمم بأن (جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة) والحديث في صحيح مسلم .

وفي يوم القيامة يأتون صفوفاً منتظمة (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) (سورة الفجر /٢٢) . ويقفون صفوفاً بين يدي الله تعالى : (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) (سورة النبأ /٣٨) والروح جبريل .

وانظر إلى دقة تنفيذهم للأوامر ، في صحيح مسلم ومسند أحمد عن

أنس ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبي ـ ﷺ ـ قال (آتي باب الجنَّة فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك) .

ويمكن أن نلاحظ دقة تنفيذهم للأوامر من استعراض حديث الإسراء إذ كان جبريل يستأذن في كل سماء ولا يفتح له إلا بعد الاستفسار .



الفصل الثاني

٢ ـ عِبَادَةُ المَلَائِكَة

نظرة في طبيعة الملائكة :

الملائكة مطبوعون على طاعة الله ، ليس لديهم القدرة على العصيان (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) ، (سورة التحريم /٦) .

فتركهم للمعصية ، وفعلهم للطاعة جبلَّة ، لا يكلفهم أدنى مجاهدة ، لأنَّه لا شهوة لهم .

ولعلَّ هذا هو السبب الذي دعا فريقاً من العلماء إلى القول بأن الملائكة ليسوا بمكلفين وأنهم ليسوا بداخلين في الوعد والوعيد (لوامع الأنوار ٢/٤٠٩).

ويمكن أن نقول : إن الملائكة ليسوا بمكلفين بنفس التكاليف التي كلف بها أبناء آدم . أمَّا القول بعدم تكليفهم مطلقاً فهو قول مردود ، فهم مأمورون بالعبادة والطاعة (يخافون ربَّهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) سورة النحل/٥٠). وفي الآية أنهم يخافون ربهم ، والخوف نوع من التكاليف الشرعية ، بل هو من أعلى أنواع العبودية كما قال فيهم: (وهم من خشيته مشفقون) ، (سورة الأنبياء /٢٨) .

مكانة الملائكة :

خير ما يوصف به الملائكة أنهم عباد لله ، ولكنهم عباد مكرمون ، وقد سبق أن أشرنا إلى أن دعوى المشركين في أن الملائكة ـ بنات الله ـ دعوى باطلة لا نصيب لها من الصحة ، وقد أكذب الله القائلين بهذا القول وبين حقيقة الملائكة ومكانتهم في أكثر من موضع،قال تعالى:(وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ،

يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ، ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين)،(سورة الأنبياء /٢٦ ـ ٢٩) .

الملائكة عباد يتصفون بكل صفات العبودية ، قائمون بالخدمة منفذون للتعاليم ، وعلم الله بهم محيط ، لا يستطيعون أن يتجاوزوا الأوامر ، ولا أن يخالفوا التعليمات الملقاة إليهم ، خائفون وجلون ، وعلى احتمال أن بعضهم تعدى طوره فإن الله يعذبه جزاء تمرده .

ومن تمام عبودية الملائكة أنهم لا يتقدمون بين يدي ربهم مقترحين ، ولا يعترضون على أمر من أوامره ، بل هم عاملون بأمره ، مسارعون مجيبون (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)، (سورة الأنبياء/٢٧) وهم لا يفعلون إلا ما يؤمرون به ، فالأمر يحركهم ، والأمر يوقفهم ، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ لجبريل : (ألا تزورنا أكثر مما تزورنا ؟!) قال : فنزلت : (وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيًا)،(سورة مريم /٦٤) .

نماذج من عبادتهم :

الملائكة عباد الله ، مكلفون بطاعته ، وهم يقومون بالعبادة والتكاليف بيسر وسهولة . وسنورد ـ هنا ـ بعض العبادات التي حدثنا الله ، أو رسوله ـ ﷺ ـ أنهم يقومون بها .

التسبيح :

الملائكة يذكرون الله تعالى ، وأعظم ذكرهم التسبيح ، يسبحه تعالى حملة عرشه : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم) (سورة غافر /٧) كما يسبحه عموم ملائكته : (والملائكة يسبحون بحمد ربهم)،(سورة الشورى /٥) .

وتسبيحهم لله دائم لا ينقطع لا في الليل ولا في النهار (يسبحون الليل والنهار لا يفترون)،(سورة الأنبياء /٢٠) .

ولكثرة تسبيحهم فإنهم هم المسبحون في الحقيقة وحق لهم أن يفخروا بذلك : (وإنا لنحن الصافون ، وإنا لنحن المسبّحون)،(سورة الصافات/ ١٦٥ ـ ١٦٦) .

وما كثرة تسبيحهم إلا لأن التسبيح أفضل الذكر ، روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر ، قال : سئل رسول الله ـ ﷺ ـ: أي الذكر أفضل ؟ قال : (ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده : سبحان الله وبحمده) .

صلاتهم :

سبق ذكر الحديث الذي يحث الرسول ـ ﷺ ـ فيه أصحابه على الاقتداء بالملائكة في الاصطفاف للصلاة : (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟) وعندما سئل عن كيفية اصطفافهم قال : (يتمون الصف الأول فالأول ، ويتراصون في الصف) رواه البخاري .

وفي القرآن عن الملائكة : (وإنـا لنحـن الصافون) ، (سورة الصافات ١٦٥) وهم يقومون ويركعون ويسجدون ، ففي مشكل الآثار للطحاوي والطبراني في المعجم الكبير عن حكيم بن حزام قال :

(بينما رسول الله ـ ﷺ ـ في أصحابه إذ قال لهم : أتسمعون ما أسمع ؟ قالوا : ما نسمع من شيء ، قال : إني لأسمـع أطيط السماء ، وما تلام ان تئط ، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم).

قال فيه الألباني (صحيح على شرط مسلم)،(سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم ٨٥٢) .

حجّهم :

وللملائكة كعبة في السماء السابعة يحجون إليها ، هذه الكعبة هي التي

أسماها الله تعالى : البيت المعمور ، وأقسم به في سورة الطور (والبيت المعمور)،(آية /٤) .

قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية : (ثبت في الصحيحين أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته السماء السابعة : (ثمَّ رفع بي إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم) يعني يتعبدون فيه ، ويطوفون به كما يطوف أهل الارض بكعبتهم ، والبيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة ، ولهذا وَجَد إبراهيمَ الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، لأنَّه باني الكعبة الأرضية ، والجزاء من جنس العمل) . وذكر ابن كثير أن البيت المعمور بحيال الكعبة ، أي فوقها لو وقع لوقع عليها ، وذكر أن في كل سماء بيتاً يتعبد فيه أهلها ويصلون إليه والذي في السماء الدنيا يقال له : بيت العزة.

وهذا الذي ذكره ابن كثير من أن البيت المعمور بحيال الكعبة مروي عن علي بن أبي طالب ، أخرج ابن جرير من طريق خالد بن عرعرة أن رجلاً قال لعلي ـ رضي الله عنه ـ: ما البيت المعمور ؟ قال : (بيت في السماء يقال له الضُراح وهو بحيال الكعبة من فوقها ، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ، ولا يعودون فيه أبداً).

قال فيه الشيخ ناصر الدين الألباني :(الأحاديث الصحيحة ٢٣٦/١) ورجاله ثقاة غير خالد بن عرعرة وهو مستور .... ثمَّ ذكر أنَّ له شاهداً مرسلاً صحيحاً عن الرسول ـ ﷺ ـ من رواية قتادة ، قال : ذكر لنا أن النبي ـ ﷺ ـ قال يوماً لأصحابه : (هل تدرون ما البيت المعمور ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنَّه مسجد في السماء ، تحته الكعبة ، لو خرَّ لخر عليها ...) .

ثم قال المحقق (الألباني) : (وجملة القول أن هذه الزيادة (حيال

الكعبة) ثابتة بمجموع طرقها) .

خوفهم من الله وخشيتهم له :

ولما كانت معرفة الملائكة بربهم كبيرة ، كان تعظيمهم له ، وخشيتهم له ، عظيمة ، قال الله فيهم : (وهم من خشيته مشفقون) ، (سورة الأنبياء /٢٨).

يبين شدة خوفهم من ربهم ما رواه النواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ: (إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة ، أو قال رعدة شديدة خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجّداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ـ عليه السلام ـ، فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد ... الحديث) ، (رواه ابن جرير وابن خزيمة والطبراني وابن أبي حاتم واللفظ له).

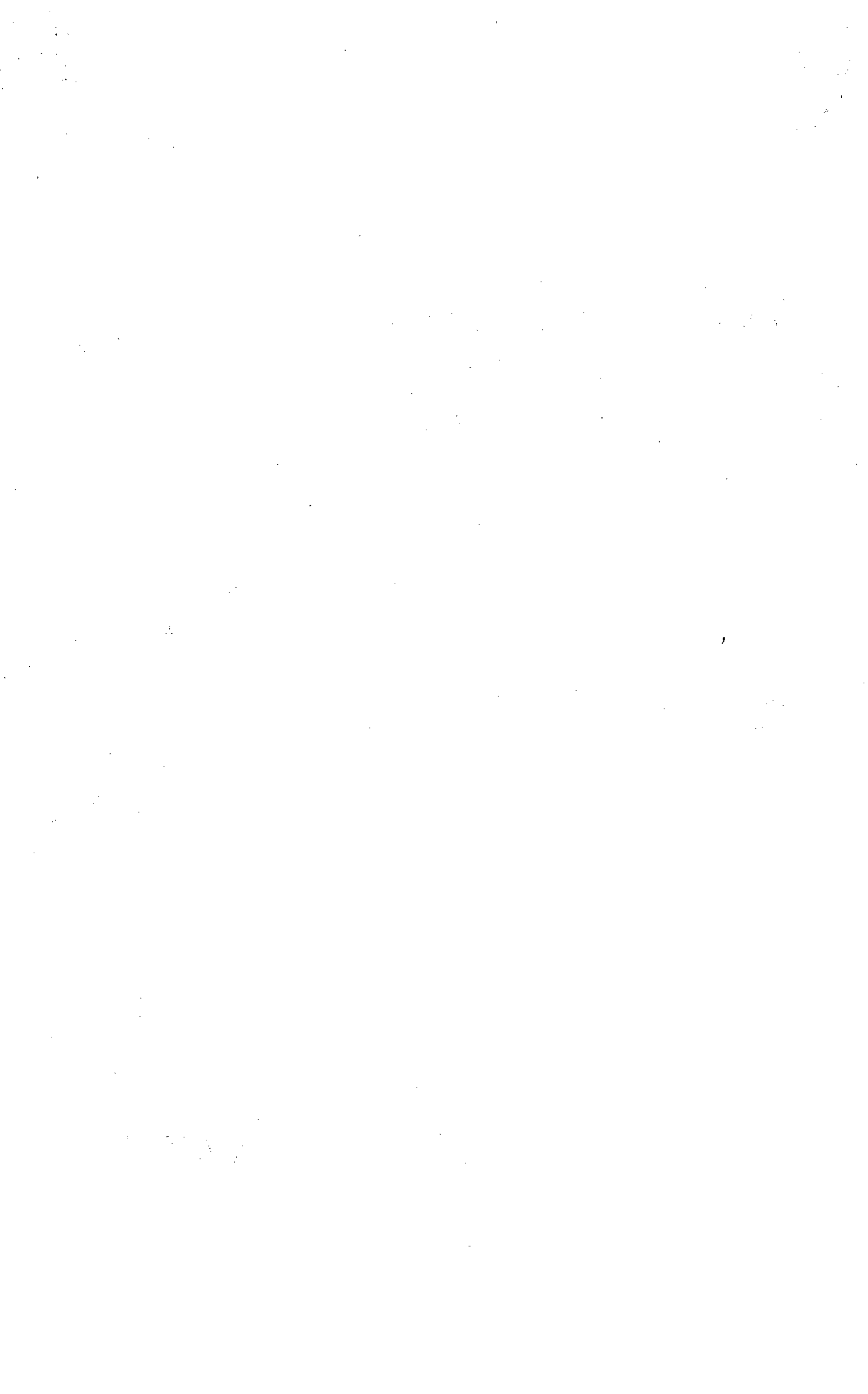
وفي معجم الطبراني الأوسط باسناد حسن عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (مررت ليلة أُسري بي بالملأ الأعلى ، وجبريل كالحلس البالي من خشية الله تعالى) . (صحيح الجامع ٢٠٦/٥) .

(والحلس : كساء يبسط في أرض البيت) .



الفصل الثالث

٣- الملائكة والإنسان



الملائكة وآدم

سؤالهم عن الحكمة من خلق الإنسان :

عندما أراد الله سبحانه أن يخلق آدم أعلم ملائكته بمراده ، فسألوه عن الحكمة من وراء ذلك ؛ لأنهم علموا أنه سيقع من بني آدم إفساد ، وسفك دماء ، وعصيان ، وكفر ، فأخبرهم سبحانه أن من وراء خلقه لآدم حكم لا يعلمونها : (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال : إني أعلم ما لا تعلمون) ، (سورة البقرة /٣٠) .

سجودهم له عند خلقه :

أمر الله ملائكته بالسجود لآدم حين يتمّ خلقه وتنفخ فيه الروح ، (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين ، فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) ، (سورة ص /٧١ ـ ٧٢) .

وقد استجابوا لأمر الله إلا إبليس : (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين) [١] (سورة ص ٧٣ ـ ٧٤) .

---

(١) هذه الآية ظاهرة الدلالة في أن الملائكة جميعاً سجدوا لآدم ، وفي هذا ردٌ على الذين قالوا بأن الذين سجدوا هم جزء من الملائكة ، أو أنّهم ملائكة الأرض فحسب ، والأثر الوارد في أنهم ملائكة الأرض والمنسوب إلى ابن عباس فيه نكارة وانقطاع . ويرى ابن تيمية أن الآية نصٌ لا يحتمل التأويل ولا يجوز مخالفتها .

توجيه الملائكة لآدم :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - . « خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر ، وهم نفر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك وتحيَّة ذريتك ، فذهب ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليك ورحمة الله » قال : « فزادوه ورحمة الله » متفق عليه .

غسل الملائكة آدم عند موته :

عندما توفي آدم لم يعرف أولاده كيف يفعلون به فأعلمتهم الملائكة ، ففي مستدرك الحاكم ومعجم الطبراني الأوسط ، بإسناد صحيح ، عن أبيّ - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - : (لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً ، وألحدوا له ، وقالوا : هذه سنة آدم في ولده) ، (صحيح الجامع ٤٨/٥) .

وقد ثبت في صحاح الأحاديث أن الملائكة غسلت شهيداً من هذه الأمَّة هو حنظلة بن أبي عامر الذى استشهد في معركة أحد ، فقد قال الرسول - ﷺ - لأصحابه بعد مقتل حنظلة : (إنَّ صاحبكم تغسله الملائكة ، يعني حنظلة) فسأل الصحابة زوجته ، فقالت : إنَّه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب . فقال رسول الله - ﷺ - : (لذلك غسلته الملائكة) رواه الحاكم ، والبيهقي في السنن واسناده حسن كما يقول الألباني وقد ذكر الحافظ ابن عساكر بإسناد صحيح أنَّ الأوس افتخروا بأن منهم غسيل الملائكة حنظلة بن الراهب .

(الأحاديث الصحيحة حديث رقم ٣٢٦) .

الملائكة وبني آدم

علاقة الملائكة بذرية آدم علاقة وثيقة ، فهم يقومون عليه عند خلقه ، ويكلفون بحفظه بعد خروجه إلى الحياة ، ويأتونه بالوحي من الله ، ويراقبون

أعماله وتصرفاته ، وينزعون روحه إذا جاء أجله . وسنتناول ذلك بشيء من التفصيل والبيان .

دورهم في تكوين الإنسان :

روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : (إذا مرَّ بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله تعالى إليها ملكاً ، فصورها ، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ، ثمَّ قال : أي ربِّ : ذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك) .

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : حدثنا رسول الله - ﷺ - وهو الصادق المصدوق : (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثمَّ يكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثمَّ يكون في ذلك مضغـة مثل ذلك ، ثمَّ يرسل الملك فينفخ فيه الروح،ويؤمر بأربع كلمات تكتب : رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد) .

وفي الصحيحين أيضاً عن أنس بن مالك عن النبي - ﷺ - قال : (وكل الله تعالى بالرحم ملكاً ، فيقول : (أي ربِّ نطفة ، أي رب عَلَقَة ، أي ربِّ مُضغة ، فإذا أراد أن يقضي خلقها قال : أي ربِّ ذكر أم أنثى ؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق ؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه) .

حراستهم لابن آدم :

قال تعالى : (سواء منكم من أسرَّ القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ، له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) ،(سورة الرعد /١٠ - ١١) .

وقد بيّن ترجمان القرآن ابن عباس أن المعقبات من الله هم الملائكة جعلهم الله ليحفظوا الإنسان من أمامه ومن ورائه ، فإذا جاء قدر الله الذي قدَّر

أن يصل إليه ـ خلوا عنه .

وقال مجاهد : (ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوام ، فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك وراءك ، إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه) .

وقال رجل لعلي بن أبي طالب : إن نفراً من مراد يريدون قتلك ، فقال (أي علي) : إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر ، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه ، إن الأجل جنّة حصينة) .

(راجع البداية ٥٤/١) .

والمعقبات المذكورة في آية الرعد هي المرادة بالآية الأخرى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ، حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرّطون) ، (سورة الأنعام /٦١) فالحفظة الذين يرسلهم الله يحفظون العبد حتى يأتي أجله المقدر له .

يبلغون وحي الله إلى رسله وأنبيائه :

وقد أعلمنا الله أن جبريل يكاد يختص بهذه المهمة : (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه) ، (سورة البقرة /٩٧).

وقال : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) ، (سورة الشعراء / ١٩٣ ـ ١٩٤) .

وقد يأتي بالوحي غير جبريل ـ وهذا قليل ـ كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال : (بينما جبريل قاعد عند النبي ـ ﷺ ـ سمع نقيضاً من فوقه ، فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم ، لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك ، فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قطُّ إلا اليوم ، فسلَّم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي

قبلك : فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته) .

وفي التاريخ لابن عساكر بإسناد صحيح عن حذيفة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (أتاني ملك فسلم عليَّ ـ نزل من السماء ، لم ينزل قبلها ـ فبشرني أنَّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنَّة ، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنَّة) ، (صحيح الجامع ٨٠/١) .

وفي مسند أحمد والترمذي والنسائي عن حذيفة أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل ؟ هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة ، استأذن ربه ـ عز وجل ـ أن يسلم عليَّ ، ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنَّة ، وأن فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنة) ،(صحيح الجامع ٤١٩/١) .

وفي المسند وسنن الترمذي بإسناد صحيح عن أُبي بن كعب أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (أتاني جبريل وميكائيل ، فقعد جبريل عن يميني ، وميكائيل عن يساري ، فقال جبريل : يا محمد : اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل استزده ، فقلت زدني ، فقال : اقرأه على ثلاثة أحرف ، فقال ميكائيل استزده فقلت : زدني ، كذلك حتى بلغ سبعة أحرف ، فقال : اقرأه على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف) [1] (صحيح الجامع ٨٠/١) .

---

(١) ما بيناه هنا من أن الملائكة سفراء الله إلى خلقه وحملة وحيه إلى رسله يوضح لنا المعنى اللغوي لكلمة (ملك) فالملك : أصله ألَكَ ، والمالكة والمَألكة ، والمألَكُ : الرسالة . ومنه اشتق الملائك ، لأنهم رسل الله وقيل : اشتق من (لَ أ ك) والملأكة : الرسالة ، وألكني إلى فلان أي بلغه عني ، والملأك : الملك ، لأنه يبلغ عن الله تعالى . وقال بعض المحققين : الملَك من الملك . قال : والمتولي من الملائكة شيئاً من السياسات يقال له مَلَك ، ومن البشر مَلِك . (راجع بصائر ذوي التمييز ٥٢٤/٤) .

ليس كل من جاءه ملك فهو رسول أو نبي :

ليس كـل من جاءه ملك يعتبر رسولاً أو نبيًّا فهذا وَهْم ، فالله قد أرسل جبريل إلى مريم ، كما أرسله إلى أم إسماعيل عندما نفذ الماء والطعام منها .

ورأى الصحابة جبريل في صورة أعرابي ، وأرسل الله ملكاً إلى ذلك الرجل الذي زار أخاً له في الله يبشره بأن الله يحبه لحبه لأخيه ... وهذا كثير وإنما المراد التنبيه .

كيف كان يأتي الوحي الرسول ـ ﷺ ـ :

سأل الحارث بن هشام ـ رضي الله عنه ـ الرسول ـ ﷺ ـ . فقال : يا رسول الله ، كيف يأتيك الوحي ؟

فقال الرسول ـ ﷺ ـ :

« أحياناً يأتيني مثل صلصة الجرس وهو أشدُّه عليَّ ، فَيَنْفَصِم عنِّي وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول »

فجبريل كان يأتي الرسول ـ ﷺ ـ ويتصل به وهو في حالته الملكية ، وهذه شديدة على الرسول ـ ﷺ ـ ، والحالة الثانية كان جبريل ينتقل من حالته الملكية إلى البشرية ، وهذه أخف على الرسول ـ ﷺ ـ . وقـد رأى الـرسول ـ ﷺ ـ جبريل على صورتـه التي خلقه الله عليها مرتين ، مرة بعد البعثة بثلاث سنوات كما ثبت ذلك في صحيح البخاري أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (بينما أنا أمشي ، إذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فرعبت منه ، فرجعت ، فقلت : زمِّلوني) والمرة الثانية رآه عندما عرج به إلى السماء ، وهاتان المرتان مذكورتان في سورة النجم : (علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى ، ثمَّ دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ،

أفتمارونـه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى) . (سورة النجم /٥ ـ ١٧) .

لا تقتصر مهمة جبريل على تبليغ الوحي :

لم تقتصر مهمة جبريل على تبليغ الوحي من الله تعالى ، فقد كان يأتيه في كل عام في رمضان في كل ليلة من لياليه ، فيدارسه القرآن . والحديث صحيح ، أورده البخاري في صحيحه .

إمامته للرسول :

وقـد أم جبريل الرسول ـ ﷺ ـ ؛ كي يعلمه الصلاة كما يريدها الله تعالى :

ففي صحيح البخاري أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (نزل جبريل فأمني فصليت معه ، ثمَّ صليت معه ، ثمَّ صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، يحسب بأصـابعه خمس مـرات) وفي مسند أحمد وسنن النسائي وأبي داود عن ابن عباس ـ أن الرسول ـ ﷺ ـ . قال : (أمني جبريل عند البيت مرتين ، فصلى بي حين زالت الشمس ، وكانت قدر الشراك ، وصلى بيَ العصر حين كان ظلُّ الشيء مثله ، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى بي العشاء حين غاب الشفق ، وصلى بي الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم

فلما كان الغد ، صلى بي الظهر حين كان ظل الشيء مثله ، وصلى بي العصر حين كان ظل الشيء مثليه ، وصلى بي المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى بي العشاء إلى ثلث الليل ، وصلى بي الفجر فأسفر . ثمَّ التفت إليَّ وقال : يا محمد : هذا وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت ما بين هذين الوقتين) .

ولم يعلمه كيفية الصلاة عملياً وأوقاتها فحسب بل علمه الوضوء ، ففي مسند أحمد ومستدرك الحاكم عن زيد بن حارثة أن الرسول ـ ﷺ ـ

قال : (أتاني جبريل في أول ما أوحى إلي ، فعلمني الوضوء والصلاة ، فلما فرغ من الوضوء ، أخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه) .

رقيته للرسول - ﷺ -:

روى مسلم في صحيحه والترمذي في سننه وغيرهما عن أبي سعيد قال : قال رسول الله - ﷺ - : (أتاني جبريل فقال : يا محمد اشتكيت ؟ قلت : نعم ، قال : بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شرّ كل ذي نفس وعين حاسد ، بسم الله أرقيك ، والله يشفيك) .

أعمال أخرى :

ومن ذلك أنّه حارب مع الرسول - ﷺ - في بدر والخندق ، وصحب الرسول - ﷺ - في الإسراء وغير ذلك .

تحريك بواعث الخير في نفوس العباد :

وكّل الله بكل إنسان قريناً من الملائكة ، وقريناً من الجن ، ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله - ﷺ - (ما منكم من أحد إلا وقد وكّل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة) قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : (وإياي ، ولكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير) ولعلّ هذا القرين من الملائكة غير الملائكة الذين أمروا بحفظ أعماله ، قيضه الله له ليهديه ويرشده .

وقرين الإنسان من الملائكة وقرينه من الجنّ يتعاوران الإنسان ، هذا يأمره بالشر ويرغبه فيه وذاك يحثه على الخير ويرغبه فيه ، فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : (إن للشيطان لمة بابن آدم ، وللملك لمة ، فأمّا لمة الشيطان ، فإيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، وأمّا لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنّه

من الله ، وليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم) ، (سورة البقرة /٢٦٨) قال ابن كثير بعد سوقه لهذا الحديث : (هكذا رواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما جميعاً ، عن هناد بن السري . وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، عن أبي يعلى الموصلي ، عن هناد به ، وقال الترمذي حسن غريب وهو حديث أبي الأحوص ، يعني سلام بن سليم ...) .

وانظر إلى الحديث التالي كي تعرف كيف يتسابق القرين الجني والقرين الملكي على توجيه الإنسان ، ذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله - ﷺ - :(إذا أوى الإنسان إلى فراشه ، ابتدره ملك وشيطان ، فيقول الملك : اختم بخير ، ويقول الشيطان : اختم بشر . فإذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه - يعني النوم - طرد الملك الشيطان وبات يكلؤه ، فإذا استيقظ ، ابتدره ملك وشيطان ، فيقول الملك : افتح بخير ، ويقول الشيطان . افتح بشر ، فإن قال : الحمد لله الذي أحيا نفسي بعدما أماتها ، ولم يمتها في منامها ، الحمد لله الذي يمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، الحمد لله الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، الحمد لله يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه) .

قال محقق كتاب الوابل الصيب معلقاً على هذا الحديث (ورواه بمعناه ابن حبان رقم (٢٣٦٢) « موارد » ، والحاكم (٥٤٨/١) وصححه ووافقه الذهبي ورجاله ثقاة ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٠/١٠) وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح ، غير إبراهيم الشامي وهو ثقة . نقول وصوابه : ابراهيم بن الحجاج السامي بالسين المهملة) .

وهذه الأحاديث توجهنا إلى الإكثار من الأعمال الخيرة التي تصلح نفوسنا وتقرب الملائكة منّا ، ففي قرب الملائكة منا خير عظيم ، فقد (كان رسول الله ـ ﷺ ـ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كلّ ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ـ ﷺ ـ أجود بالخير من الريح المرسلة) ، (رواه البخاري عن ابن عباس) .

حفظ أعمال بني آدم :

الملائكة موكلون بحفظ أعمال بني آدم من خير وشرّ ، وهؤلاء هم المعنيون بقوله تعالى : (وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون) (سورة الانفطار / ١٠ ـ ١٢) .

وقد وكل الله بكل إنسان ملكين حاضرين لا يفارقانه يحصيان عليه أعماله وأقواله : (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ، إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) ، (سورة ق /١٦ ـ ١٨) .

ومعنى قعيد أي مترصد . ورقيب عتيد : أي مراقب معد لذلك لا يترك كلمة تفلت .

والظاهر أن الملائكة الموكلة بالإنسان تكتب كل ما يصدر عن الإنسان من أفعال وأقوال لا يتركون شيئاً ؛ لقوله تعالى : (ما يلفظ من قول) .

ولذلك فإن الإنسان يجد كتابه قد حوى كل شيء صدر منه ، ولذلك فإنّ الكفار ينادون عندما يرون كتاب أعمالهم يوم القيامة قائلين : (يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربُّك أحداً) ،(سورة الكهف /٤٩) .

وفي مسند الإمام أحمد عن بلال بن الحارث المزني ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان

الله ـ تعالى ـ ما يظنّ أن تبلغ ما بلغت يكتب الله ـ عز وجل ـ له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله ـ تعالى ـ عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه) فكان علقمة يقول : كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث .

ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وقال الترمذي حسن صحيح

وذكر ابن كثير في تفسيره عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية (عن اليمين وعن الشمال قعيد)،(سورة ق /١٧) ثم قال : يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ، ووكل بك ملكان كريمان ، أحدهما عن يمينك ، والآخر عن يسارك ، فأمّا الذي عن يمينك فيحفظ الحسنات ، وأما الذي عن يسارك فيحفظ السيئات ، فاعمل ما شئت ، أقلل أو أكثر ، حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة ، فعند ذلك يقول الله تعالى : (وكل إنسان ألزمناه طائرهُ في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً)،(سورة الإسراء /١٣ ـ ١٤) ثم يقول الحسن : عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك .

وذكر ابن كثير أيضاً عن ابن عباس في قوله تعالى : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)،(سورة ق /١٨) قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى إنَّه ليكتب قوله : أكلت ، شربت ، ذهبت ، جئت ، رأيت . حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقى سائره ؛ وذلك قوله تعالى:(يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)،(سورة الرعد/٣٩) .

وذكر ابن كثير عن الإمام أحمد أنَّه كان يئنّ في مرضه ، فبلغه عن طاوس أنه قال : يكتب الملك كل شيء حتى الأنين ، فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله .

صاحب اليمين يكتب الحسنات والآخر السيئات :

في معجم الطبراني الكبير بإسناد حسن عن أبي أمامة أن رسول الله - ﷺ - قال : (إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطىء ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها ، وإلا كتبت واحدة) ، (صحيح الجامع ٢١٢/٢) .

هل تكتب الملائكة أفعال القلوب ؟

استدل شارح الطحاوية على أن الملائكة تكتب أفعال القلوب بقوله تعالى (يعلمون ما تفعلون) ، (سورة الانفطار /١٢) فالآية شاملة للأفعال الظاهرة والباطنة .

واستدلَّ أيضاً بالحديث المتفق عليه ، يقول الرسول - ﷺ - : (قال الله عز وجل : إذا همَّ عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها عشرا) .

وفي الحديث الآخر المتفق عليه أيضاً : (قالت الملائكة : ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة ، وهو أبصر به ، فقال : ارقُبُوه فإن عملها فاكتبوها بمثلها ، وإن تركها فاكتبوها له حسنة ، إنَّما تركها من جرائي) ، (الطحاوية /٤٣٨).

شبهة :

قد يقال ألا يتناقض علم الملائكة بإرادة الإنسان وقصده مع قوله تعالى : (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) .

فالجواب : أن هذا ليس من خصائص علم الله تعالى ، فهو وإن خفي عن البشر فلا يعلم واحدهم ما في ضمير أخيه ، فلا يلزم أن يخفى عن الملائكة .

وقد يقال أن الملائكة تعلم بعض ما في الصدور ، وهو الإرادة والقصد ، أمَّا بقية الأمور كالاعتقادات فلا دليل على كونها تعلمها .

دعوة العباد إلى فعل الخير :

في صحيح البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ قال : (ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهمَّ اعط ممسكاً تلفاً) .

وذكر ابن حجر في شرحه للحديث رواية أخرى عن أبي الدرداء وفيها (ما من يوم طلعت فيه الشمس إلا وبجنبتها ملكان يناديان يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ، إن ما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهى ، ولا غربت شمسه إلا وبجنبتها ملكان يناديان) فذكر مثل حديث أبي هريرة السابق .

ابتلاء بني آدم :

وقد يرسل الله بعض ملائكته لابتلاء بني آدم واختبارهم ، ففي البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع النبي ـ ﷺ ـ يقول : (إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص ، وأقرع ، وأعمى ، أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً .

فأتى الأبرص ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ فقال : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قذرني الناس ، فمسحه ، فذهب عنه قذره، وأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً . قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل ، أو قال البقر ، فأعطى ناقة عشراء (أي حامل) . فقال : بارك الله لك فيها .

فأتى الأقرع ، فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ، ويذهب عني الذي قذرني الناس . فمسحه فذهب عنه ، وأعطى شعراً حسناً . قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : البقر ، فأعطى بقرة حاملاً ، وقال : بارك الله لك فيها .

فأتى الأعمى فقال : أيُّ شيء أحب إليك ؟ قال أن يرد الله إليَّ بصري ،

فأبصر الناس . فمسحه فردَّ الله إليه بصره . قال : فأيُّ المال أحب إليك ؟ قال الغنم . فأعطى شاة والداً فأنتج هذا وولَّد هذا .

فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم .

ثمَّ إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثمَّ بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال - بعيراً أتبلَّغ به في سفري ، فقال : الحقوق كثيرة ، فقال : كأني أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً فأعطاك الله ؟ فقال : إنَّما ورثت هذا المال كابراً عن كابر . فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت .

وأتى الأقرع في صورته وهيئته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، وردَّ عليه مثل ما ردَّ هذا ، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت .

وأتى الأعمى في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل . انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ، ثمَّ بك ، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك : شاة أتبلَّغ بها في سفري ، فقال : قد كنت أعمى فرد الله إليَّ بصري ، فخذ ما شئت ، ودع ما شئت ، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل ، فقال : أمسك مالك ، فإنَّما ابتليتم ، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك) .

الملائكة تنزع روح الإنسان :

اختص الله بعض ملائكته بنزع أرواح العباد عندما تنتهي آجالهم التي قدرها الله لهم ، قال تعالى : (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) ، (سورة السجدة /١١) .

والذين يقبضون الأرواح أكثر من ملك (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثمَّ

ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا لـــه الحكم وهو أسرع الحاسبين)،(سورة الأنعام /٦١ - ٦٢) .

وتنزع الملائكة أرواح الكفرة والمجرمين نزعاً شديداً عنيفاً بلا رفق ولا هوادة (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون) ، (سورة الأنعام /٩٣) .

وقال :(ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق)،(سورة الأنفال / ٥٠) .

وقال :(فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم)،(سورة محمد / ٢٧) .

أمَّا المؤمنون فإن الملائكة تنزع أرواحهم نزعاً رفيقاً .

تبشيرهم المؤمنين عند النزع :

وإذا جاء الموت ونزل بالعبد المؤمن فإن الملائكة تتنزل عليه تبشره وتثبته (إن الذين قالوا ربنا الله ثمَّ استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنَّة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون)،(سورة فصلت /٣٠ - ٣١) .

وهي تبشر الكفرة بالنار وغضب الجبار وتقول لهم : (أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون)،(سورة الأنعام /٩٣) .

موسى يفقأ عين ملك الموت :

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - (جاء ملك الموت إلى موسى بن عمران ، فقال له : أجب ربك ، قال : (فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها) قال :

(فرجع الملك إلى الله ، فقال : إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت ، وقد فقأ عيني) قال : « فردَّ الله إليه عينه ، وقال : ارجع إلى عبدي فقل : الحياةَ تريد ؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور ، فما توارت يدك من شَعْرة فإنك تعيش بها سنة (وفي البخاري : فله بما غطت يده لكل شعرة سنة) قال : ثمَّ مـه ؟ قال : ثمَّ تموت . قال : فالآن من قريب) .

وملك الموت إنما جاء موسى في صورة إنسان كما في رواية صحيحة في المسند ، وهذا الذي فعله موسى لأنَّ الأنبياء يُـخَـيَّرون قبل أن تقبض أرواحهم بين الدنيا وبين ما عند الله .

وقد يبادر بعض الناس إلى التكذيب بمثل هذه الرواية لأن عقولهم لا تستسيغها ، وقد نسوا أنَّ أول صفات المتقين أنهم يؤمنون بالغيب كما ذكر الله ذلك في مطلع سورة البقرة ، فإذا صحَّ الخبر عن الله أو عن رسوله فليس هناك إلا التصديق (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكَّر إلا أولو الألباب) ، (سورة آل عمران /٧) .

سؤالهم العبد في القبر وما يكون منهم في المحشر والجنة والنار :

سيأتي في مبحث الإيمان باليوم الآخر إن شاء الله تعالى . ما يكـون مـن الملائكة نحو العباد بعد الموت من سؤال الملكين للعبد في قبره ، وهذان هما منكر ونكير ، وأن منهم ملائكة ينعّمون العباد في قبورهم ، وآخرون يعذبون الكفرة والمجرمين ، واستقبالهم للمؤمنين في يوم القيامة ، ونفخ إسرافيل في الصور ، وحشرهم الناس للحساب ، وسوقهم الكفرة إلى جهنم ، والمؤمنين إلى الجنة ، وقيامهم على تعذيب الكفار في النار ، وسلامهم على المؤمنين في الجنة .

الملائكة والمؤمنون

تحدثنا في المبحث الماضي عن الدور الذي كلف الله الملائكة القيام

به تجاه بني آدم كلهم مؤمنهم وكافرهم ، فما ذكرناه من تشكيلهم للنطفة ، وحراستهم للعباد ، وتبليغ للوحي ، ومراقبتهم للعباد وكتابة الأعمال ، ونزع الأرواح ، لا تختص بقسم من بني آدم دون قسم ، ولا بمؤمن دون كافر .

وللملائكة بعد ذلك دور مختلف مع المؤمنين والكفار وسنتناول موقفهم من كلا الفريقين بالبيان والتوضيح .

محبتهم للمؤمنين :

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : (إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل : إن الله قد أحب فلاناً فأحبّه ، فيحبه جبريل . ثم ينادي جبريل في السماء : إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ويوضع له القبول في الأرض) .

تسديد المؤمن :

روى الترمذي وابن ماجة أن الرسول - ﷺ - قال :(من سأل القضاء وُكل إلى نفسه ، ومن أجبر عليه ينزل الله عليه مـلكاً فيسدده) .

أما كيفية تسديده فالله أعلم به .

ومن هذا الباب ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : (قال سليمان بـن داود عليهما السلام : لأطوفنَّ الليلة بمائة امرأة ، تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله .

فقال الملك : قل إن شاء الله ، فلـم يقل ونسي ، فأطاف بهنَّ ، ولم تلد إلا امرأة منهنَّ نصف إنسان .

قال النبي - ﷺ - لو قال : إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته) .

فالملك سدد نبي الله سليمان وأرشد إلى الأصوب والأكمل .

صلاتهم على المؤمنين :

أخبرنا الله أنَّ الملائكة تصلي على الرسول ـ ﷺ ـ : (إن الله وملائكته يصلون على النبي)،(سورة الأحزاب /٥٦) وهم يصلون على المؤمنين أيضاً : (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ، وكان بالمؤمنين رحيماً)،(سورة الأحزاب /٤٣) .

والصلاة من الله ـ تعالى ـ ثناؤه على العبد عند ملائكته ، حكاه البخاري عن أبي العالية ، وقال غيره : الصلاة من الله ـ عز وجل ـ الرحمة ، وقد يقال : لا منافاة بين القولين .

وأمَّا الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار لهم ، وهذا ما سنوضحه فيما يأتي .

نماذج من الأعمال التي تصلي الملائكة على صاحبها :

معلّم الناس الخير :

روى الطبراني والترمذي بإسناد صحيح عن أبي أمامة أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (إن الله وملائكته ، حتى النملة من جحرها ، وحتى الحوت في البحر ، ليصلون على معلم الناس الخير)،(صحيح الجامع ١٣٣/٢) .

الذين يؤمون المساجد للصلاة :

في صحيح مسلم (أن الملائكة تصلي على الذي يأتي المسجد للصلاة فتقول : اللهمَّ صلِّ عليه ، اللهمَّ ارحمه ، ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه) .

الذين يصلون في الصف الأول :

في سنن أبي داود وابن ماجة ومسند أحمد عن البراء ـ رضي الله عنه ـ

أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول) (صحيح الجامع ١٣٣/٢) .

وفي سنن الترمذي (إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدم) (صحيح الجامع ١٣٤/٢) .

الذين يمكثون في مصلاهم بعد الصلاة :

روى أبو داود في سننه والنسائي بإسناد صحيح عن أبي هريرة أن النبي ـ ﷺ ـ قال : (الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ، ما لم يحدث ، أو يقم : اللهم اغفر له ، اللهمَّ ارحمه)،(صحيح الجامع ٢١/٦) .

الذين يسدُّون الفرج بين الصفوف :

في سنن ابن ماجة ومسند أحمد ومستدرك الحاكم بإسناد حسن عن عائشة أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (إن الله تعالى وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف ، ومن سدَّ فرجة رفعة الله بها درجة)،(صحيح الجامع ١٣٥/٢) .

الذين يتسحرون :

وفي صحيح ابن حبان ومعجم الطبراني الأوسط بإسناد حسن عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (إن الله تعالى وملائكته يصلون على المتسحرين)،(صحيح الجامع ١٣٥/٢) .

الذين يصلون على النبي ـ ﷺ ـ :

روى أحمد في مسنده ، والضياء في المختارة عن عامر بن ربيعة باسناد حسن أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (ما من عبد يصلي عليَّ إلا صَلَّتْ عليه الملائكة ، ما دام يصلي عليَّ ، فليقلّ العبد من ذلك أو ليكثر) (صحيح الجامع ١٧٤/٥) .

الذين يعودون المرضى :

روى ابن حبان في صحيحه بإسناد صحيح عن علي أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (ما من امرئ مسلم يعود مسلماً إلا ابتعث الله سبعين ألف ملك ، يصلون عليه في أي ساعات النهار كان ، حتى يمسي ، وأي ساعات الليل كان ، حتى يصبح)،(صحيح الجامع ١٥٩/٥) .

وفي رواية لأبي داود والحاكم (ما من رجل يعود مريضاً ممسياً ، إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح ، ومن أتاه مصبحاً خرج معه سبعون الف ملك ، يستغفرون له حتى يمسي) .

هل لصلاة الملائكة علينا من أثر :

يقول تعالى : (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور)،(سورة الأحزاب /٤٣) .

الآية تفيد أن ذكر الله لنا في الملأ الأعلى ، ودعاء الملائكة للمؤمنين واستغفارهم لهم ، له تأثير في هدايتنا وتخليصنا من الظلمات التي تعني الكفر والشرك والذنوب والمعاصي ، إلى النور الذي يعني وضوح المنهج والسبيل بالتعرف على طريق الحق الذي هو الإسلام ، وتعريفنا بمراد الله منا ، وإعطائنا النور الذي يدلنا على الحق : في الأفعال والأقوال والأشخاص .

التأمين على دعاء المؤمنين :

الملائكة يؤمنون على دعاء المؤمنين ، وبذلك يكون الدعاء أقرب إلى الإجابة ، ففي سنن ابن ماجة عن أبي الدرداء عن النبي ـ ﷺ ـ قال : (دعوة المرء مستجابة لأخيه بظهر الغيب ، عند رأسه ملك يؤمن على دعائه ، كلما دعا له بخير قال : آمين ، ولك بمثله) ولما كان الدعاء المؤمَّن عليه حرياً بالإجابة فإنه لا ينبغي للمؤمن أن يدعو على نفسه بشر ، ففي صحيح مسلم

عن أم سلمة قالت : (لا تدعو على أنفسكم إلا بخير ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون) .

استغفارهم للمؤمنين :

أخبرنا الله أن الملائكة يستغفرون لمن في الأرض (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم)،(سورة الشورى /٥)

وأخبر في آية سورة غافر أن حملة العرش والملائكة الذين حول العرش ينزهون ربهم ويخضعون له ويخصون المؤمنين التائبين بالاستغفار ويدعونه بأن ينجيهم من النار ويدخلهم الجنة ، ويحفظهم من فعل الذنوب والمعاصي : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ، ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كلَّ شيء رحمة وعلماً ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ، ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، إنَّك أنت العزيز الحكيم ، وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذٍ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم)،(سورة غافر /٧ ـ ٩) .

شهودهم مجالس العلم وحلق الذكر وحفهم أهلها بأجنحتهم :

ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ قال : « إن لله ـ تبارك وتعالى ـ ملائكة يطوفون في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله ـ تعالى ـ تنادوا : هلموا إلى حاجتكم . قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا » .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفَّتهم

الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده) .

وفي مسند الإمام أحمد والسنن عن أبي الدرداء مرفوعاً : (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) أي تتواضع له .

فالأعمال الصالحة ـ كما ترى ـ تقرب الملائكة منا وتقربنا منهم ، ولو استمر العباد في حالة عالية من السمو الروحي لوصلوا إلى درجة مشاهدة الملائكة ومصافحتهم كما في الحديث الذي يرويه البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ : (لو أنكم إذا خرجتم من عندي تكونون على الحال الذي تكونون عليه ، لصافحتكم الملائكة بطرق المدينة) (صحيح الجامع : ٥/٥٩) .

وفي سنن الترمذي عن أبي هريرة بإسناد صحيح (لو أنكم تكونون على كل حال على الحالة التي أنتم عليها عندي ، لصافحتكم الملائكة بأكفّهم ، ولزارتكم في بيوتكم ، ولو لم تذنبوا ، لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم) (صحيح الجامع ٥/٦٠) .

تسجيل الملائكة الذين يحضرون الجمعة :

وهؤلاء الملائكة يسجلون بعض أعمال العباد ، فيسجلون الذين يؤمون الجُمَع الأول فالأول . في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر) .

ويسجلون ما يصدر عن العباد من أقوال طيبة ، في صحيح البخاري وغيره عن رفاعة بن رافع الزرقي قال : « كنا يوماً نصلي وراء النبي ـ ﷺ ـ فلما رفع رأسه من الركعة ، قال : « سمع الله لمن حمده ، قال رجل وراءه : ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه . فلما انصرف ، قال : من المتكلم ؟

قال : أنا . قال : لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها ؛ فهؤلاء الكتبة من الملائكة غير الملكين اللذين يسجلان صالح أعماله وطالحها بالتأكيد لكونهم بضعة وثلاثين ملكاً .

تعاقب الملائكة فينا :

وهؤلاء الملائكة الذين يطوفون في الطرق يلتمسون الذكر ويشهدون الجمع والجماعات يَتعاقبون فينا فطائفة تأتي ، وطائفة تذهب ، وهم يجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ، ففي صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم ، فيقول : كيف تركتم عبادي ؟ فيقـولون : تـركنـاهم وهم يصلـون وأتيناهم وهم يصلون) . ولعل هؤلاء هم الذين يرفعون أعمال العباد إلى ربهم ففي البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال : (قام فينا رسول الله ـ ﷺ ـ بأربع كلمات ، فقال : إنَّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل النهار قبل الليل ، وعمل الليل قبل النهار ...) الحديث .

وقد عظم الله شأن صلاة الفجر ؛ لأنَّ الملائكة تشهدها قال : (وقرآن الفجر إنَّ قرآن الفجر كان مشهوداً)،(سورة الإسراء /٧٨).

تنزّلهم عندما يقرأ المؤمن القرآن :

ومنهم من يتنزَّل من السماء حين يقرأ القرآن ، فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن أسيد بن حضير بينما هو في ليلة يقرأ في مربده (الجُرْن) إذ جالت (وثبت) فرسه ، فقرأ ، ثم جالت أخرى ، فقرأ ، ثم جالت أيضاً قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى فقمت إليها ، فإذا مثل الظلة فوق رأسي ،

فيها أمثال السرج عرجت في الجوّ حتى ما أراها . فقال : فغدوت على رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت : يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ـ ﷺ : (اقرأ يا ابن حضير) قال : فقرأت ، ثمَّ جالت أيضاً ، فقال رسول الله ـ ﷺ : (اقرأ يا ابن حضير) قال فقرأت ، ثم جالت أيضاً ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : (اقرأ يا ابن حضير) قال : فانصرفت وكان يحيى قريباً منها خشيت أن تطأه ، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجوّ حتى ما أراها ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : (تلك الملائكة كانت تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم) ، (رواه البخاري ومسلم) .

يبلغون الرسول ﷺ عن أمته السلام :

روى الامام أحمد والنسائي عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام) .

وفي معجم الطبراني الكبير باسناد حسن عن عمار بن ياسر أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (إن لله تعالى ملكاً أعطاه سمع العباد ، فليس من أحد يصلي عليَّ إلا بلغنيها ، وإني سألت ربي أن لا يصلي عليَّ عبد صلاة إلا صلى عليه عشر أمثالها) .

تبشيرهم المؤمنين :

فقد حملوا البشرى إلى إبراهيم بأنَّه سيرزق بذرية صالحة (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ، إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون ، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ، فقربه إليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) ، (سورة الذاريات / ٢٤ـ٢٨) وبشرت زكريا بيحيى (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أنَّ الله يبشرك بيحيى) ، (سورة آل عمران / ٣٩).

وليس هذا مقصوراً على الأنبياء والمرسلين ، بل قد تبشر المؤمنين ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : (زار رجل أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته (طريقه) ملكاً ، فلما أتى عليه ، قال : أين تريد؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله عز وجل ، قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ -: (أتاني جبريل ، فقال : يا رسول الله ! هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه ادام أو طعام أو شراب ، فإذا هي قد أتتك ، فاقرأ عليها السلام ، من ربّها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيها ولا نصب) . (صحيح الجامع / ٧٦/١) .

الملائكة والرؤيا في المنام :

روى البخاري في صحيحه في باب التهجد عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : (كان الرجل في حياة النبي - ﷺ - إذا رأى رؤيا قصَّها على رسول الله - ﷺ - فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله - ﷺ - ، وكنت غلاماً شابًّا ، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله - ﷺ - فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار ، فإذا هي مطوية كطيِّ البئر ، وإذا لها قرنان ، وإذا فيها أناس قد عرفتهم ، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار ، قال : فلقينا ملك آخر فقال لي : لا ترع) أي لا تخف .

وفي صحيح البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : (قال لي رسول الله - ﷺ -: (أريتك في المنام يجيء بك الملك في سرقه من حرير ، فقال لي : هذه امرأتك فكشفتُ عن وجهك الثوب ، فإذا أنت هي ، فقلت :

إن يك هذا من الله يتمه)

يقاتلون مع المؤمنين ويثبتونهم في حروبهم :

وقد أمدَّ الله المؤمنين بأعداد كثيرة من الملائكة في معركة بدر (إذ تستغيثون ربَّكم فاستجاب لكم أني مُمِدُّكم بألف من الملائكة مردفين) ، (سورة الأنفال / ٩) ،(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألنْ يكفيكم أنْ يمدَّكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربُّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) ، (سورة آل عمران / ١٢٣ــ١٢٥) .

وقد قال الرسول ــ ﷺ ــ في يوم بدر (هذا جبريل آخذ برأس فرسه ، عليه أداة الحرب) رواه البخاري .

وقد بين الله الحكمة والغاية من هذا الإمــداد وهو تثبيت المؤمنين والمحاربة معهم وقتال أعداء الله وقتلهم بضرب أعناقهم وأيديهم : (وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) (سورة الأنفال/ ١٠) (إذ يوحي ربك إلى الملائكة أنِّي معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) ، (سورة الأنفال/١٢) .

وقال في سورة آل عمران (وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ؛ ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين) ، (سورة آل عمران / ١٢٦ــ١٢٧) .

وقد رأى الرسول ــ ﷺ ــ الملائكة في يوم بدر ففي صحيح البخاري أن رسول الله ــ ﷺ ــ لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق ــ رضي الله عنه ــ وهما يدعوان ، أخذت الرسول ــ ﷺ ــ سِنَةٌ من النوم ، ثمَّ استيقظ مبتسماً ، فقال: (أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع) .

وقد سمع أحد المقاتلين من المسلمين صوت ضربة لملك يضرب أحد الكفار ، وصوته وهو يزجر فرسه ، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس (بينا رجل من المسلمين يشتدُّ في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم ، إذ نظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقياً قال : فنظر إليه فإذا هو قد حطم وشقَّ وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله - ﷺ - فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة) .

وقد حاربت الملائكة في مواقع أخرى . ففي غزوة الخندق أرسل الله ملائكته (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها) ، (سورة الأحزاب / ٩) والمعنى بالجنود التي لم يروها الملائكة ، كما ثبت في الصحاح وفي غيرها أن جبريل جاء الرسول - ﷺ - بعد رجوع الأحزاب وعلى ثنايا جبريل النقع (الغبار) وكان الرسول - ﷺ - يغتسل ، فقال للرسول ﷺ : (أوضعتم سلاحكم ، فإنا لم نضع سلاحنا بعد ، فقال : إلى أين ؟ فأشار إلى بني قريظة) .

حمايتهم للرسول ﷺ :

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ، قال : فقيل نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرنَّ وجهه في التراب ، قال : فأتى رسول الله - ﷺ - وهو يصلي يزعم ليطأ على رقبته . قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبه ويتقي بيديه ، قال : فقيل له ما لك ، فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً واجنحة . فقال رسول الله - ﷺ - (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً) .

ورواه البخاري في صحيحه بأخصر من رواية مسلم هذه في كتاب التفسير .

حمايتهم ونصرتهم لصالحي العباد وتفريج كربهم :

وقد يرسلهم الله لحماية بعض عباده الصالحين من غير الأنبياء والمرسلين ، وقد يكون من هذا ما حصل لرجل ذكر ابن كثير خبره . ففي تفسير ابن كثير عند قوله تعالى : (أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ..) ، (سورة النمل ٦٢) قال :

ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي الصوفي ، قال هذا الرجل : كنت أكاري على بغل لي من دمشق إلى بلد الزبداني ، فركب معي ذات مرة رجل فمررنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوكة ، فقال لي : خذ في هذه فإنها أقرب ، فقلت : لا خيرة لي فيها ، فقال : بل هي أقرب ، فسلكناها ، فانتهينا إلى مكان وعر ، وواد عميق وفيه قتلى كثيرة ، فقال لي : أمسك رأس البغل حتى أنزل ، فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه وسلّ سكيناً معه وقصدني ، ففررت من بين يديه وتبعني ، فناشدته الله وقلت : خذ البغل بما عليه ، فقال هو لي ؛ وإنما أريد قتلك ، فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل ، فاستسلمت بين يديه ، وقلت : إني أريد أن تتركني حتى أصلي ركعتين ، فقال : عجّل ، فقمت أصلي فارتجّ عليّ القرآن فلم يحضرني منه حرف واحد . فبقيت واقفاً متحيراً وهو يقول : هيه ، افرغ ، فأجرى الله على لساني قوله : (أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء) فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي وبيده حربة فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده فخرّ صريعاً ، فتعلقت بالفارس ، وقلت بالله من أنت؟ فقال : أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء .

قال فأخذت البغل والحمل ورجعت سالماً .

ومن ذلك ارسال الله جبريل لإغاثة أم اسماعيل في مكة ففي صحيح البخاري

عن ابن عباس في قصة مهاجرة إبراهيم بابنه اسماعيل وأمّه هاجر إلى أرض مكة ـ وهي قصة طويلة ـ أن أمَّ اسماعيل سعت سعي الإنسان المجهود بين الصفا والمروة سبع مرات تبحث عن الماء ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً ، فقالت : (صه) تريد نفسها ثمَّ تسمعت فسمعت أيضاً ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، أو قال بجناحه حتى ظهر الماء ... فقال لها الملك :(لا تخافي الضَّيعة فإن ههنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله) .

وفي سنن النسائي بإسناد صحيح أن هذا الملك الذي جاءها هو جبريل (إن جبريل لما ركض زمزم بعقبه جعلت أم اسماعيل تجمع البطحاء ، رحم الله هاجر لو تركتها كانت عينا معينا) ، (صحيح الجامع ١٩٧/٢) .

شهود الملائكة لجنازة الصالحين :

قال الرسول ـ ﷺ ـ في سعد بن معاذ (هذا الذي تحرَّك له العرش ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة ، لقد ضُمَّ ضمة ، ثمَّ فرِّج عنه) ، رواه النسائي عن ابن عمر باسناد صحيح (صحيح الجامع ٧٢/٦) .

اظلالها للشهيد بأجنحتها :

في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : لمّا قتل أبي جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي ، وينهونني ، والنبي ـ ﷺ ـ لا ينهاني ، فجعلت عمتي فاطمة تبكي ، فقال النبي ـ ﷺ ـ: (تبكين أو لا تبكين ، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه) .

وقد عنون له البخاري بقوله (باب ظل الملائكة على الشهيد) .

الملائكة الذين جاءوا بالتابوت :

قال تعالى : (وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة) ، (سورة البقرة / ٢٤٨) .

والذي يعنينا من هذه الآية ما أخبرنا الله به أن الملائكة جاءت بني إسرائيل في تلك الفترة بتابوت ، تطميناً لهم وتثبيتاً كي يعلموا أن طالوت مختار من الله تعالى ، فيتابعونه ويطيعونه.

حمايتهم للمدينة ومكة من الدجال :

يدخل الدجال عندما يخرج كل بلد إلا مكة والمدينة لحماية الملائكة لهما كما ثبت ذلك في صحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي من حديث فاطمة بنت قيس من قصة تميم الداري أن الدجال قال : (أنا المسيح الدجال ، وإني يوشك أن يؤذن لي في الخروج ، فأخرج فأسير في الأرض ، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة ، فهما محرمتان عليَّ كلتاهما ، كلما أردت أن أدخل واحدة ، أو أحداً منهما ، استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها . قالت : قال رسول الله - ﷺ -: وطعن بخصرته في المنبر - هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة ، يعني : المدينة) وروى البخاري عن أبي بكرة ، عن النبي - ﷺ - قال : (لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال ، لها يومئذ سبعة أبواب ، على كل باب ملكان) .

وفي صحيح البخاري أيضاً عن أبي هريرة أن الرسول - ﷺ - قال : (على أنقاب المدينة ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال) وفيه أيضاً (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال ، إلا مكة والمدينة ، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ، ثمَّ ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات

فيخرج الله كل كافر ومنافق) .

نزول عيسى بصحبة ملكين :

ينزل عيسى بن مريم في آخر الزمان عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين (المهرودتان : ثوبان مصبوغان بورس وزعفران) واضعاً كفيه على أجنحة ملكين . (رواه مسلم في صحيحه والترمذي في سننه) .

الملائكة باسطة اجنحتها على الشام :

عن زيد بن ثابت الأنصاري - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : (يا طوبى للشام يا طوبى للشام) . قالوا : يا رسول الله وبم ذلك ؟ قال : (تلك ملائكة الله باسطو أجنحتها على الشام) .

قال الشيخ ناصر في تخريج أحاديث فضائل الشام للربعي : (هو احديث صحيح أخرجه الترمذي والحاكم في المستدرك وأحمد في المسند ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وهو كما قالا . وقال المنذري في الترغيب والترهيب : ورواه ابن حبان في صحيحه والطبراني باسناد صحيح) .

ما في موافقة الملائكة من أجر وثواب :

ثبت في الصحيحين أن رسول الله - ﷺ - قال : (إذا أمّن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) وفي صحيح البخاري (إذا قال الإمام آمين فإن الملائكة تقول في السماء، آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال : (إذا قال الامام سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهمَّ ربنا ولك الحمد ، فإن من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) . ورواه بقية الجماعة إلا ابن ماجة .

واجب المؤمن تجاه الملائكة :

الملائكة عباد الله اختارهم واصطفاهم ولهم مكانة عند ربهم ، والمؤمن الذي يعبد الله ويتبع رضوانه لا مناص له من أن يتولى الملائكة بالحب والتوقير ، ويتجنب كل ما من شأنه أن يسيء إليهم ويؤذيهم ، وفي المبحث التالي نتناول شيئاً من ذلك بالبيان والتوضيح .

البعد عن الذنوب والمعاصي :

أعظم ما يؤذي الملائكة الذنوب والمعاصي والكفر والشرك ، ولذا فإن أعظم ما يهدى للملائكة ويرضيهم أن يخلص المرء دينه لربه ، ويتجنب كل ما يغضبه .

ولذا فإنَّ الملائكة لا تدخل الأماكن والبيوت التي يعصى فيها الله تعالى ، أو التي يوجد فيها ما يكرهه الله ويبغضه ، كالأنصاب والتماثيل والصور ولا تقرب من تلبس بمعصية كالسكران .

قال ابن كثير : (البداية ٥٥/١) ثبت في الحديث المروي في الصحاح والمسانيد والسنن من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : (لا يدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا جُنب) .

وفي رواية عن عاصم بن ضمرة عن علي (ولا بول) وفي رواية رافع عن أبي سعيد مرفوعاً (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو تمثال) وفي رواية ذكوان أبي صالح السماك عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب أو جرس) ، (ا. هـ من البداية) .

وروى البزار بإسناد صحيح عن بريدة ـ رضي الله عنه ـ أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (ثلاثة لا تقربهم الملائكة : السكران والمتضمخ بالزعفران ، والجنب) ، (صحيح الجامع ٧٠/٣) .

وفي سنن أبي داود باسناد حسن عن عمار بن ياسر عن الرسول ـ ﷺ ـ (ثلاثة لا تقربهم الملائكة : جيفة الكافر ، والمتضمخ بالخلوق ، والجنب إلا أن يتوضأ) ، (صحيح الجامع ٣/٧٠) . (الخلوق : ضرب من الطيب) .

الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم :

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، فهم يتأذون من الرائحة الكريهة ، والأقذار والأوساخ روى البخاري ومسلم أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (من أكل الثوم والبصل والكراث فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم) .

وقد بلغ الأمر بالرسول ـ ﷺ ـ أن أمر بالذي جاء إلى المسجد ورائحة الثوم أو البصل تنبعث منه ـ أن يخرج إلى البقيع (وهذا ثابت في صحيح مسلم) .

النهي عن البصق عن اليمين في الصلاة :

نهى الرسول ـ ﷺ ـ عن البصق عن اليمين أثناء الصلاة لأن المصلي إذا قام يصلي يقف عن يمينه ملك ، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال : (إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق عن أمامه فإنه إنما يناجي الله ما دام في مصلاه ، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكاً ، وليبصق عن يساره أو تحت قدمه فيدفنها) .

موالاة الملائكة كلهم :

وعلى المسلم أن يحب جميع الملائكة فلا يفرق في ذلك بين ملك وملك ، لأنهم جميعاً عباد الله عاملين بأمره تاركين لنهيه ، وهم في هذا وحدة واحدة لا يختلفون ولا يفترقون . وقد زعم اليهود أن لهم أولياء وأعداء من الملائكة ، وزعموا ان جبريل عدو لهم ، وميكائيل ولي لهم ، فأكذبهم الله تعالى ـ في مدعاهم وأخبر أن الملائكة لا يختلفون فيما بينهم فكل من كان عدواً لله أو لملك

فهو عدو لجميع الملائكة (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين) ، (سورة البقرة / ٩٧-٩٨) .

فأخبر سبحانه أن الملائكة كلهم وحدة واحدة فمن عادى واحداً منهم فقد عادى الله وجميع الملائكة ، امّا تولي بعض الملائكة ومعادة بعض آخر فهي خرافة لا يستسيغها إلا مثل هذا الفكر اليهودي المنحرف ، وهذه المقولة التي حكاها القرآن عن اليهود إنما هي عذر واهٍ عللوا به عدم إيمانهم ، فزعموا أن جبريل عدوهم لأنّه يأتي بالحرب والدمار ، ولو كان الذي يأتي الرسول - ﷺ - ميكائيل لتابعوه .

وراجع النصوص الواردة في سبب نزول هذه الآية في تفسير ابن كثير وغيره .

الملائكة والكفار والفساق

وضحنا فيما سبق موقف الملائكة من المؤمنين وقد اتضح من خلال ذلك موقفهم من الكفرة ، فهم لا يحبون الكفرة الظالمين المجرمين ، بل يعادونهم ويحاربونهم ، ويزلزلون قلوبهم كما حدث في معركة بدر والأحزاب ، ونزيد الأمر هنا تفصيلاً وايضاحاً بذكر ما لم نذكر هناك .

إنزال العذاب بالكفار :

عندما كان يُكذَّب رسول من الرسل ويصرّ قومه على التكذيب كان الله ينزل في كثير من الأحيان بهم عذابه ، وكان الذي يقوم بالتعذيب أحياناً الملائكة .

اهلاكهم قوم لوط :

جاء الملائكة المأمورون بتعذيب قوم لوط في صورة شبان حسان الوجوه ،

واستضافهم لوط ، ولم يعلم قومه بهم ، فدلت زوجة لوط قومها عليهم ، فجاءوا مسرعين يريدون بهم الفاحشة ، فدافعهم لوط ، وحاورهم ، فأبوا عليه ، فضربهم جبريل بجناحه ، فطمس أعينهم ، وأذهب بصرها ، (ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم ، وضاق بهم ذرعاً ، وقال هذا يوم عصيب ، وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، قال يا قوم هؤلاء بناتي هنَّ أطهر لكم ، فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي ، أليس منكم رجل رشيد ! قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ، وإنّك لتعلم ما نريد ، قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد ، قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) ، (سورة هود /٧٧ـ٨١) .

قال ابن كثير (البداية ١/١٩٧) : (وذكروا أن جبريل ـ عليه السلام ـ خرج عليهم ، فضرب وجوههم خفقة بطرف جناحه فطمست أعينهم ، حتى قيل غارت بالكلية ، ولم يبق لها محل ولا أثر .. قال تعالى : (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر) ، (سورة القمر / ٣٧) .

وفي الصباح أهلكهم الله تعالى : (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ربك ، وما هي من الظالمين ببعيد) ، (سورة هود / ٨٢ـ٨٣) .قال ابن كثير في تفسيره : قال مجاهد : (أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم ، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ، ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ، ثم كفأها ، وكان حملهم على خوافي جناحه الأيمن) وذكر أقوالاً مقاربة لهذا القول ، ولم يورد حديثاً يشهد لهذا .

لعن الكفرة :

قال تعالى:(كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم ، وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات ، والله لا يهدي القوم الظالمين ، أولئك جزاؤهم أن

عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) ، (سورة آل عمران / ٨٦ـ٨٧) وقال : (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار ، أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) ، (سورة البقرة / ١٦١) .

ولا تلعن الملائكة الكفرة فحسب بل قد تلعن من فعلوا ذنوباً معينة ومن هؤلاء :

لعن الملائكة المرأة التي لا تستجيب لزوجها :

في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ: (اذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت ، فبات غضبان لَعَنَتْها الملائكة حتى تصبح) .

لعنهم الذي يشير إلى أخيه بحديدة :

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال أبو القاسم ـ ﷺ ـ: (من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه ، وإن كان أخاه لأبيه وأمّه) .

ولعن الملائكة يدل على حرمة هذا الفعل لما فيه من ترويعٍ لأخيه ، ولأنّ الشيطان قد يطغيه فيقتل أخاه ، خاصة إذا كان السلاح من هذه الأسلحة الحديثة التي قدتنطلق لأقل خطأ أو لمسة غير مقصودة . وكم حدث أمثال هذا .

لعنهم من سبّ أصحاب الرسول ـ ﷺ ـ:

في معجم الطبراني الكبير عن ابن عباس بإسناد حسن أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (من سبّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) .

فيا عجباً لأقوام جعلوا سب أصحاب الرسول ـ ﷺ ـ ديناً لهم يتقربون به إلى الله ، مع أن جزاءهم ما ذكره الرسول ـ ﷺ ـ هنا . وهو جزاء رهيب .

لعنهم الذين يحولون دون تنفيذ شرع الله :

في سنن النسائي وأبي داود وابن ماجة باسناد صحيح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ان رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (من قتل عمداً فَقَود يديه ، فمن حال بينه وبينه فعليه لعنة الله ، والملائكة ، والناس أجمعين) فالذي يحول دون تنفيذ حكم الله في قتل القاتل عمداً بالجاه أو المال ... فعليه هذه اللعنة فكيف بالذي يحول دون تنفيذ الشريعة كلها ؟ !

الذي يؤوي محدثاً :

من الذين تلعنهم الملائكة كما يلعنهم الله الذين يحدثون في دين الله ، بالخروج على أحكامه ، والاعتداء على تشريعه ، أو يؤون من يفعل ذلك ، ويحمونه كما في الحديث الصحيح : (من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) رواه أبو داود والنسائي والحاكم . (صحيح الجامع ٨/٦) .

والحدث في المدينة فيه زيادة في الاجرام فقد ورد عن الرسول ـ ﷺ ـ أنه قال : (المدينة حرام ، ما بين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً ، أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله ، والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ، ولا عدلاً) . رواه البخاري ومسلم .

رؤية الملائكة :

لا يستطيع بنو آدم أن يروا الملائكة ، لأن الله لم يعط أبصارهم القدرة على رؤيتهم .

ولم ير الملائكة في صورهم الحقيقة من هذه الأمة إلا الرسول ـ ﷺ ـ ، فإنه رأى جبريل مرتين في صورته التي خلقه الله عليها كما سبق ، وقد سبق أن بينا أن البشر يستطيعون رؤية الملائكة إذا تمثل الملائكة في صورة بشر .

طلب الكفار رؤية الملائكة ؟

وقد طلب الكفار رؤية الملائكة للتدليل على صدق الرسول ـ ﷺ ـ فأخبرهم الله أن اليوم الذي يرون فيه الملائكة يوم شؤم عليهم ، إذ الكفار يرون الملائكة عندما يحلُّ بهم العذاب ، أو عندما ينزل بالإنسان الموت ويكشف عنه الغطاء : (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعلوا علواً كبيراً ، يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذٍ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً) ، (سورة الفرقان / ٢١ـ٢٢) .

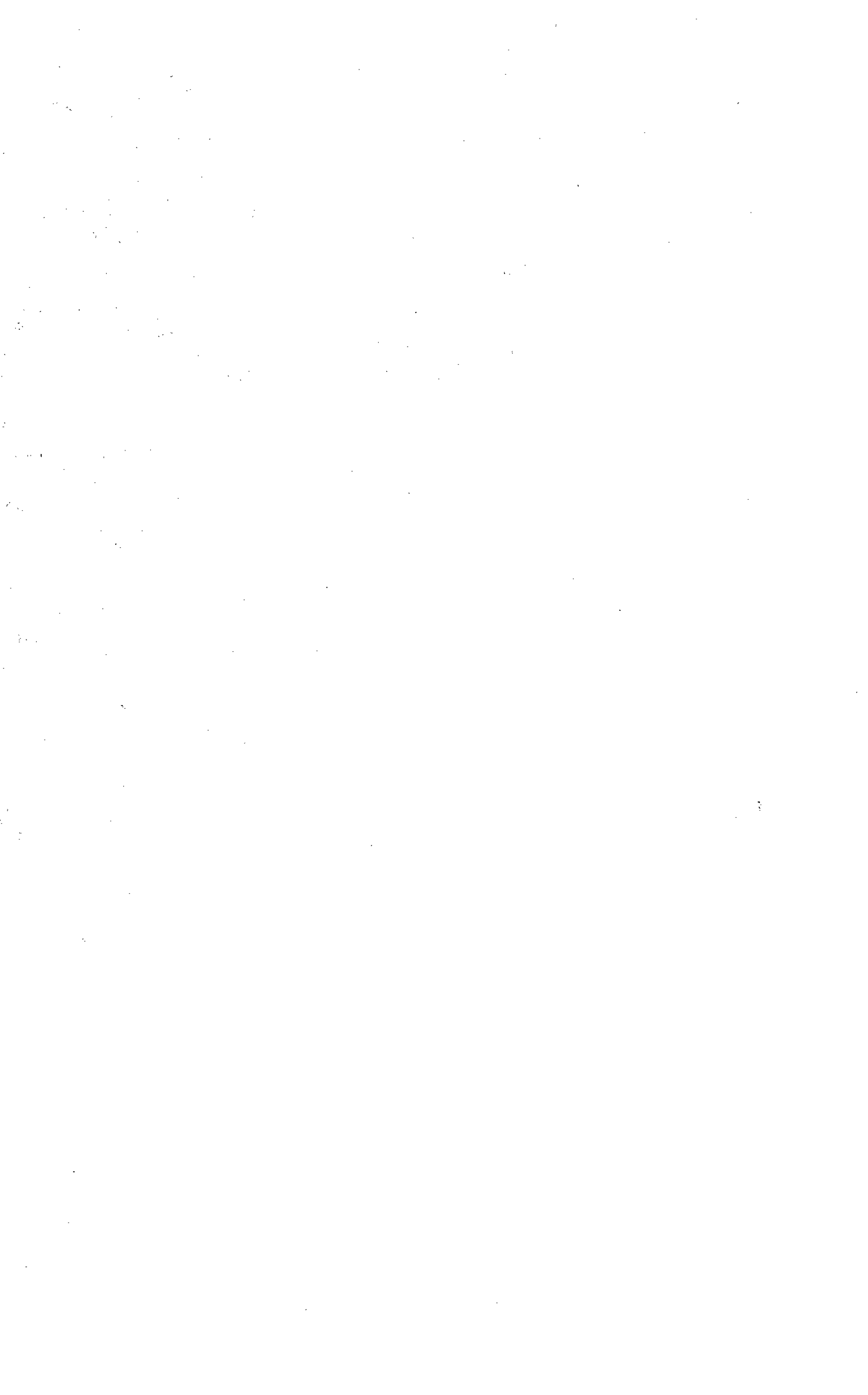
لماذا لا يرسل الله رسله من الملائكة :

والله لا يرسل رسله من الملائكة لأن طبيعة الملائكة مخالفة لطبيعة البشر ، فاتصالهم بالملائكة ليس سهلاً ميسوراً ؛ ولذا فإن الرسول ـ ﷺ ـ كان يشق عليه مجيء جبريل إليه بصفته الملائكية كما مضى ، وعندما رأى جبريل على صورته فزع وجاء زوجه يقول دثّروني دثّروني . فلما كانت الطبائع مختلفة شاء الله أن يرسل لهم رسولاً من جنسهم ، ولو كان سكان الأرض ملائكة لأنزل إليهم ملكاً رسولاً ، قال تعالى : (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) ، (سورة الإسراء / ٩٥) .

وعلى فرض أن الله اختار رسله إلى عموم البشر من الملائكة ، فإنه لا ينزلهم بصورهم الملائكية ، بل يجعلهم يتمثلون في صفة رجال يلبسون ما يلبس الرجال كي يتمكن الناس من الأخذ عنهم : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثمَّ لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون) ، (سورة الأنعام / ٨ـ٩) .

وقد أخبر تعالى أن طلب الكَفَرَة رؤية الملائكة ومجيء رسول من الملائكة إنما هو تعنت وليس طلباً للهداية ، وعلى احتمال حدوثه فإنهم لن يؤمنوا :

(ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ، وكلّمهم الموتى ، وحشرنا عليهم كلّ شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ، ولكنّ أكثرهم يجهلون) ، (سورة الأنعام / ١١١) .



الفصل الرابع

٤ - الملائكة وبقية المخلوقات



في الفصل الماضي بينت العلاقة بين الملائكة وبني آدم ، وليس هذا كل ما وُكل إلى الملائكة ، فإن الملائكة يقومون على مختلف شئون الكون مما نشاهد وما لا نشاهد .

وسأكتفي بذكر بعض ما جاء في ذلك من النصوص .

حملة العرش :

العرش أعظم المخلوقات محيط بالسموات وفوقها ، والرحمن مستوٍ عليه ، ويحمله من الملائكة ثمانية (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)[1] .

ملك الجبال :

وللجبال ملائكة ، وقد أرسل الله ملك الجبال إلى عبده ورسوله محمد - ﷺ - يستأمره في إهلاك أهل مكة ، ففي صحيحي البخاري ومسلم عن عائشة أنها قالت للنبي - ﷺ - : (هل أتى عليك يوم كان أشدُّ من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشدُّ ما لقيت منهم يوم العقبة (مكان بمنى) ، اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب (موضع قرب مكة) فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني ، فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا به عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال فسلم علي ، ثمَّ قال : يا محمد ، فقال ذلك فيما

---

(١) سبق أن بيّنا عظيم خلقهم في الفصل الذي تحدثنا فيه عن صفاتهم وقدراتهم .

شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (جبلا مكة أبو قبيس والأحمر وجبلا منى) . فقال النبي - ﷺ - : (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً) .

الموكلون بالقطر والنبات والأرزاق :

يقول ابن كثير في (البداية والنهاية : ٥٠/١) وميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الارزاق في هذه الدار ، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه ، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جلَّ جلاله . وقد روينا أنه ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها في موضعها من الأرض .

ومن الملائكة ما هو موكل بالسحاب ، ففي سنن الترمذي عن ابن عباس أن الرسول - ﷺ - قال : (الرعد ملك من ملائكة الله ، موكل بالسحاب ، معه مخاريق من نار ، يسوق بها السحاب حيث شاء الله) صحيح الجامع (١٨٨/٣) ، وقد يسقي بلاداً دون بلاد ، أو قرية دون أخرى ، وقد يؤمر بأن يسقي زرع رجل واحد دون سواه كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : (بينا رجل بفلاة من الأرض ، فسمع صوتاً في سحابة يقول : اسق حديقة فلان ؛ فتنحى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه في حرّة ، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان ، للاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له : يا عبد الله لم تسألني عن اسمي ؟ قال : إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان ، لاسمك ، فما تصنع فيها ؟ قال : أمّا إذ قلت هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها ، فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثاً ، وأرد فيها ثلثاً) .

وعلى كل فالملائكة موكلون بالسموات والأرض ، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة ، كما قال تعالى : (فالمدبرات أمراً) ، (سورة النازعات / ٥) وقال (فالمقسِّمات أمراً) ، (سورة الذاريات / ٤) ويزعم المكذبون للرسل المنكرون للخالق أن النجوم هي التي تقوم بذلك كله وكذبوا ، فالذي يدبر ذلك كله الملائكة بأمر الله تعالى ، كما قال : (والمرسلات عرفاً ، فالعاصفات عصفاً والناشرات نشراً ، فالفارقات فرقاً ، فالملقيات ذكراً) ، (سورة المرسلات / ١ـ٥) .

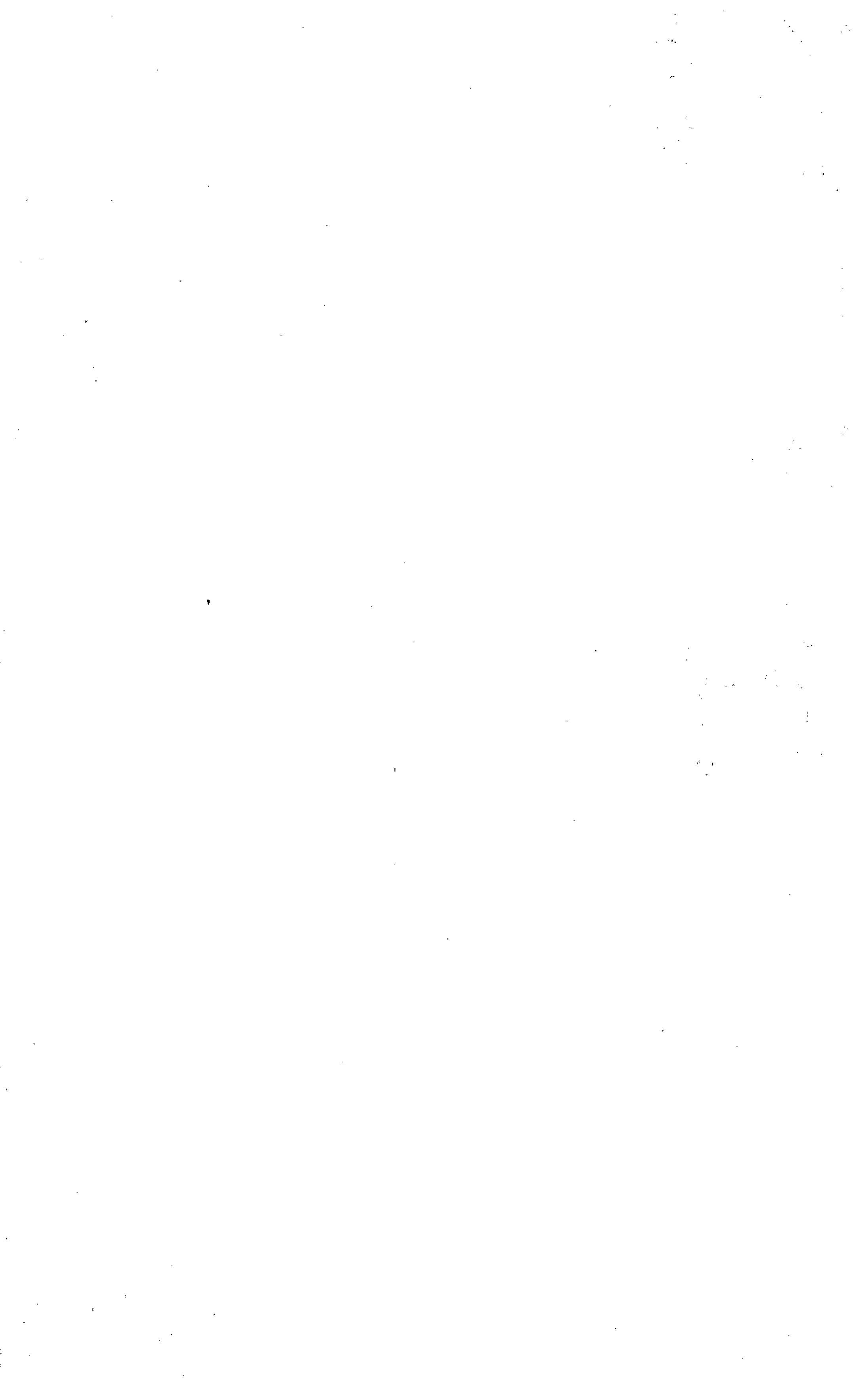
وقال (والنازعات غرقاً ، والناشطات نشطاً ، والسابحات سبحاً ، فالسابقات سبقاً ، فالمدبرات أمراً) ، (سورة النازعات / ١ـ٥) وقال (والصافّات صفاً ، فالزاجرات زجراً ، فالتاليات ذكراً) ، (سورة الصافات ١ـ٣) .

فكل هذه الآيات حديث عن الملائكة حال قيامها بتدبير شؤون السموات والأرض .



الفصل الخامس

٥ـ المفاضلة بين الملائكة والبشر



الخلاف في المسألة قديم :

قال ابن كثير في البداية والنهاية (١/٥٨) : وقد اختلف الناس في تفضيل الملائكة على البشر على أقوال : فأكثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين ، والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم ، وأقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص : أنّه حضر مجلساً لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة ، فقال عمر : ما أحد أكرم على الله من كريم بني آدم ، واستدل بقوله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) ، (سورة البينة /٧) ووافقه على ذلك أميّة بن عمرو بن سعيد ، فقال عراك بن مالك : ما أحد أكرم على الله من ملائكته ، هم خدمة دارَيْه ، ورسله إلى أنبيائه ، واستدل بقوله تعالى : (ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) ، (سورة الأعراف / ٢٠) ، فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي : ما تقول أنت يا أبا حمزة ؟ فقال : قد أكرم الله آدم فخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وجعل من ذريته الأنبياء ، والرسل ومن يزوره الملائكة ، فوافق عمر بن عبد العزيز في الحكم واستدل بغير دليله ، وهذا الذي ذكره ابن كثير من كلام عمر بن عبد العزيز وجلسائه في هذه المسألة يبين خطأ ما قاله تاج الدين الفزاري حيث يقول : (هذه المسألة من بدع علم الكلام ، التي لم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة ولا من بعدهم من أعلام الأئمة) (شرح الطحاوية ٣٣٩) بل قد ثبت أن بعض الصحابة تكلموا في شيء من ذلك ،

فهذا عبد الله بن سلام يقول : ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ، فقيل له : ولا جبريل ولا ميكائيل ؟ فقال للسائل : (أتدري ما جبريل وميكائيل ؟ إنما جبريل وميكائيل خلق مسخر كالشمس والقمر ، وما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد - ﷺ -) رواه الحاكم في مستدركة وصححه هو والذهبي (راجع شرح الطحاوية بتحقيق الألباني ص : ٣٤٢) .

الأقوال في المسألة :

يذكر شارح الطحاوية أنه ينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة ، وأن المعتزلة يفضلون الملائكة ، وأتباع الأشعري على قولين ، منهم من يفضل الأنبياء والأولياء ، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً ، وحكى عن بعضهم ميل إلى تفضيل الملائكة ، وحكى ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية . وقالت الشيعة : إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة ، ومن الناس من فصّل تفصيلاً آخر ، ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض ، وذكر أن أبا حنيفة - رحمه الله - توقف في الجواب عن هذه المسألة ، وإلى التوقف جنح شارح الطحاوية رحمه الله تعالى) ، (شرح العقيدة الطحاوية / ٣٣٨) .

وذكر السفاريني في (لوامع الأنوار ٣٩٨/٢) أنَّ الإمام أحمد - رحمه الله - كان يقول : (يخطىء من فضل الملائكة ، وقال : كل مؤمن أفضل من الملائكة) .

موطن النزاع :

لا خلاف في أن الكفرة والمنافقين غير داخلين في المفاضلة ، فهؤلاء أضل من البهائم (أولئك كالأنعام بل هم أضل) ، (سورة الأعراف /١٧٩) .

ولا نعني بالمفاضلة : التفضيل بين حقيقة البشر وحقيقة الملائكة ، وإنّما المفاضلة بين صالحي البشر والملائكة ، وإن ذهب بعض الناس إلى أن الملائكة أفضل من سائر المؤمنين ، والنزاع عندهم في المفاضلة بين الأنبياء والملائكة .

حجة الذين يفضلون صالحي البشر على الملائكة :

بعد أن حررنا محل النزاع نبين حجة الذين ذهبوا إلى تفضيل البشر .

الدليل الأول : أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم فلولا فضله لما أمروا بالسجود له . (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر) ، (سورة البقرة / ٣٤) .

ورد بعضهم أن السجود كان لله ، وآدم إنما كان قبلة لهم ، ولو كان هذا صحيحاً لقال : اسجدوا إلى آدم ، ولما قال : (اسجدوا لآدم) .

ولو كان المقصود اتخاذ آدم قبلة لما امتنع إبليس من السجود ، ولما زعم أنه خير من آدم ، فإنَّ القبلة تكون أحجاراً وليس في اتخاذها قبلة تفضيل لها .

صحيح أن سجود الملائكة لآدم كان عبادة لله ، وطاعة له ، وقربة يتقربون بها إليه ، إلا أنه تشريف لآدم وتكريم وتعظيم .

ولم يأت أن آدم سجد للملائكة ، بل لم يؤمر آدم وبنوه بالسجود إلا لله رب العالمين ، لأنَّهم – والله أعلم – أشرف الأنواع وهم صالحو بني آدم ليس فوقهم أحد يحسن السجود له إلا الله رب العالمين .

الدليل الثاني : قوله قصصاً عن إبليس : (أرأيتك هذا الذي كرمت علي) ، (سورة الاسراء / ٦٢) فإن هذا نص في تكريم آدم على إبليس إذ أمر بالسجود له .

الدليل الثالث : أن الله تعالى خلق آدم بيده ، وخلق الملائكة بكلمته .

الدليل الرابع : قوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) ، (سورة البقرة ٣٠) فالخليفة يفضل على من ليس خليفة ، وقد طلبت الملائكة أن يكون الاستخلاف فيهم ، والخليفة منهم حيث قالوا : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) ، (سورة البقرة /٣٠) الآية .. فلولا أن الخلافة درجة عالية أعلى من درجاتهم لما طلبوها وغبطوا صاحبها .

الدليل الخامس : تفضيل بني آدم عليهم بالعلم حين سألهم الله ـ عز وجل ـ عن علم الأسماء فلم يجيبوه ؛ واعترفوا أنهم لا يحسنونها فأنبأهم آدم بذلك ، وقد قال تعالى : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، (سورة الزمر / ٩) .

الدليل السادس : ومما يدل على تفضيلهم أن طاعة البشر أشق ، والأشق أفضل ، فإن البشر مجبولون على الشهوة والحرص والغضب والهوى وهي مفقودة في الملك .

الدليل السابع : أن السلف كانوا يحدثون الأحاديث المتضمنة فضل صالحي البشر على الملائكة ، وتروى على رؤوس الناس ، ولو كان هذا منكراً لأنكروه ، فدل على اعتقادهم ذلك .

الدليل الثامن : مباهاة الله بهم الملائكة :

يباهي الله بعباده الملائكة ، اذا أدوا ما أوجبه عليهم وأمرهم به . فإذا صلوا الفريضة باهى بهم الملائكة ففي مسند أحمد وابن ماجه عن عبد الله ابن عمرو أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (أبشروا ، هذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء ، يباهي بكم الملائكة ، يقول : انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة ، وهم ينتظرون أخرى) ، (صحيح الجامع ١/٦٧) .

وعن أبي هريرة أن الرسول ـ ﷺ ـ قال : (إن الله يباهي بأهل عرفات

أهل السماء ، فيقول لهم : انظروا إلى عبادي هؤلاء جاؤوني شعثاً غبراً) اسناده صحيح ، رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي في السنن (صحيح الجامع ١٤١/٢) .

والذين فضلوا الملائكة احتجوا بمثل حديث (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) .

واحتجوا بأن بني آدم فيهم النقص والقصور ، وتقع منهم الزلات والهفوات ، واحتجوا بمثل قوله تعالى : (ولا أقول لكم اني ملك) ، (سورة الأنعام ٥٠) وهذا يدل على فضل الملائكة على البشر .

تحقيق القول في ذلك :

وتحقيق القول في ذلك ما ذكره ابن تيمية من أن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية ، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى ، وسكنوا الدرجات العلا ، وحياهم الرحمن وخصهم بمزيد قربه ، وتجلى لهم ، يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم ، وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم .

والملائكة أفضل باعتبار البداية فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى ، منزهون عمّا يلابسه بنو آدم ، مستغرقون في عبادة الرب ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر .

قال ابن القيم : وبهذا التفصيل يتبين سرّ التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه[1] . والله أعلم بالصواب .

---

(١) ومن أراد مزيد من البحث في هذه المسألة فليرجع إلى (مجموع الفتاوى) ٣٥٠/١١ وإلى (لوامع الأنوار البهية ٣٦٨/٢) وإلى (شرح العقيدة الطحاوية ٣٣٨) .

المـراجع

١ ـ اغاثة اللهفان : لابن القيم .

٢ ـ البداية والنهاية : لابن كثير .

٣ ـ بصائر ذوي التمييز : للفيروزآبادي .

٤ ـ تخريج أحاديث فضائل الشام : للشيخ ناصر الدين الألباني .

٥ ـ تفسير ابن كثير .

٦ ـ حجة الله البالغة : لولي الله الدهلوي .

٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية .

٨ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة : للشيخ ناصر الدين الألباني .

٩ ـ صحيح الجامع الصغير : لناصر الدين الألباني .

١٠ ـ العقيدة في الله : للمؤلف .

١١ ـ لوامع الأنوار البهية (عقيدة السفاريني) .

١٢ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع ابن قاسم .

١٣ ـ معارج القبول : للشيخ حافظ الحكمي .

فهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

طبع في دار النفائس بيروت: ص.ب ١١/٦٣٤٧ ـ هاتف ٨١٠١٩٤